BROWN BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_191041

UNIVERSAL
LIBRARY

قررت وزارة المعارف هذا الكتاب فى مدارسها الابتدائية والثانوية

مناهج الأدب

وضعه

أمين واصف بك

الكتاب الأول

فى الأخلاق والاجتماع

يطلب من ملتزم طبعه ونشره

نجيب متري

صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

« الطبعة السابعة »

١٣٣٧ هـ — ١٩١٩ م

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

ما وظيفة المدرسة أن تعلم العلوم فقط فان بث روح الفضيلة والاقدام من أقدس واجباتها

« جول سيمون

ان عظمة انكلترا قائمة بمدارسها فان هذه المدارس تعلم العظمة الشخصية والاقدام وهي سر العظمة الحقيقية وما دامت مدارسنا تعلم هذا التعليم فنحن على ثقة من دوام عظمتنا ومجدنا

« لورد روزبرى »

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على جميع أنبيائه وأصفيائه

مقدمة

أساس السعادة نظام الحياة ؛ وأساس هذا النظام التعليم

ولكنَّ التعليم، بلا تربية توصل أثرهُ الى أعماق القلوب الرطبة ، كحرث الأرض على عمق غير كافٍ ؛ اذا أنبتت زرعها ، خرج بين أعشاب ضارَّة بنموّهِ أو حياته

طالما رأينا التعليم المجرّد عن تهذيب النفوس ، وترقيق المشاعر ، معولاً من معاول تقويض النظام الاجتماعي

شغلتني هذه الفكرة أياماً ، فأجلت النظر في كتب الأدب العربية ؛ فلم أجد فيها ، مع وفرتها ، ما سدَّ طلبتي ، كما أراه عند الافرنج من تعدّد الكتب الخاصة بتربية الأحداث ، المعروفة عندهم باسم :

Morale et Instruction Civique

فوضعتُ هذا الكتاب في أويقات فراغي ، بمساعدة الفاضلين ؛

الشيخ محمد شلبي المفتش بالمعارف ، ومرسى شاكر أفندى المدرّس بمدرسة بنهـا الابتدائية ، موفقاً أنهُ بمثل هذه الكتب ، ينبت الطفل نباتاً طيّباً ، حتى اذا ما بلغ أشدَّه ، أصبح واسع الادراك ، ذكيّ الفؤاد ، ماضى الشعور

هذا وليذكر المعلمون ، أن ما جاء فى هذا الكتاب ، ليس الاّ مسائل مجملة . والاستاذ انما يحدّث الصغير فى أرقى الموضوعات بأبسط العبارات . فعليهم — كذلك عند المطالعة — واجب البيان والتبيين ، باكثر مما جاء بهِ استاذ الكتاب ، بتكرير الشواهد ، وضرب الأمثال ؛ كى ترسخ هذه الحقائق فى أذهان الأطفال ، وتنقشَ فى مخيلتهم ثابتة كالنقش فى الحجر . وهنا حقاً ، تتفاوت قوى المعلمين . فليس المسطور فى الكتب الاّ طرقاً للارشاد ؛ وقدرة المعلم هى سر النجاح والافادة ؛ والله الموفق لما فيهِ خير عباده ؟

محمد أمين واصف

الجزء الأول

الباب الأول

فى الأدب

الفصل الأول — فى الحرية

« ١ — النواميس الطبيعية »

المعلم — ما الذى خطر ببالك أمس حينما شاهدت الشمس جانحة الى الغروب ، والظلام مقبلاً ؟

التلميذ — خطر ببالى أن الشمس لن تعود ، وأن هذا الظلام باقٍ لا يتحوّل

المعلم — وما الذى جال بخاطرك حينما شاهدت النجوم ساطعة فى السماء ؟

التلميذ — ظننت أن هذا المنظر سيدوم ، وأن هذه الكواكب ستظلّ ساطعة

المعلم — وحينما عادت الشمس و بعثت أشعتها فى الأفق ، واستمرّت على هذه الحال ، تغيب ليلاً وتظهر نهاراً ؟

التلميذ – أيقنتُ أنى مخطئ فيما تخيلت

المعلم – ما الذى تستنتجه من هذه المشاهدات ؟

التلميذ – أستنتج أن الأجرام السماوية تجرى على قوانين ثابتة لا تتغير

المعلم – هل الأجرام السماوية وحدها ، هى التى تجرى على قوانين ثابتة ؟

التلميذ – أظن ذلك

المعلم – كلاّ . . يا بُنى ؛ ان الأجرام السماوية وغيرها من الكائنات (الحيوان والنبات والجماد) تجرى كلها على قوانين ثابتة ، ونواميس لا تتغير « سنَّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا »

(١) فالحجر المقذوف فى الهواء لا بدّ أن يسقط على الأرض ؛

(٢) والشجرة لا بدّ أن تنمو ، ما لم يمنعها عن النموّ عائق ؛

(٣) والحصان مثلاً ، ينفق كسائر الحيوان ؛

(٤) والنتائج المتشابهة بالاجمال ، لا بدّ أن تكون أسبابها متشابهة .

وهى قاعدة من القواعد الكلية التى تمثلها جميع الكائنات

يا بنى ! ليس المراد من القانون هنا القواعد الوضعية التى تضعها الحكومات ، فى التشريع والادارة ونحوها ؛ بل المراد بالقانون النظام الالهى ، الذى تجرى على مقتضاه الكائنات السماوية والأرضية :

(١) كجذب الأجسام بعضها بعضاً ، حتى الأجرام السماوية ؛

(٢) وجذب الكبيرة منها الصغيرة (فالحجر المقذوف الى أعلى، لا بدّ من سقوطه على الأرض بقوة الجذب) ؛

(٣) والتصاق الأشياء الثقيلة بالأرض بقوة الجذب العام (وهذا هو الحافظ لنظام ما على وجهها أثناء دورتها) ؛

(٤) وطفوُ الأشياء الخفيفة على سطح الماء، لاختلاف الثقل النوعى بينهما ؛

(٥) ومشابهة نتائج الحيوان والنبات لأمّاتها فى الجنس . ألا ترى أن بيضة الحمام لا تفرخ الاّ حماماً ؛ والغصن المتخذ من شجرة الخوخ لا يثمر بعد غرسهِ الاّ خوخاً ؛ وغير ذلك من القوانين التى تحققها المشاهدة والعيان ، وان لم تدرك أسرارها . وما عدا ذلك — مما يخالف هذه القوانين الطبيعية الثابتة ونحوها — انما يجرى بمقتضى المصادفة ، والاتفاق الذى لا تتناوله الأفهام

« ٢ — النفس والارادة البشرية »

المعلم — ماذا تفعل مساء ، بعد خروجك من المدرسة ؟

التلميذ — سألعب مع رفاقى قبل الذهاب الى المنزل

المعلم — اذا كان ذلك فى ذهنك ؛ هل تتخيل ان هناك بلعثاً من القوانين الثابتة التى أشرنا اليها سيصرفك عن قصد المنزل الى مرافقة أصحابك ، كما تتدحرج الكرة التى تصادف منحدراً ؛

التلميذ — لا : لأن الكرة التى تصادف منحدراً ، لا بدّ أن تتدحرج . أما أنا ، فنى امكانى أن أتروّض مع رفقائى ساعة ، وأذهب بعد الى المنزل ؛ وفى امكانى أن أذهب الى المنزل مباشرة ، أو الى أى مكان آخر ؛ كما أن رفقائى فى امكانهم أن يعملوا ما يوافق رغائبهم

المعلم — اذن ، أنت مغاير لسائر الكائنات التى تتبع قوانين الطبيعة الثابتة

التلميذ — نعم

المعلم — نعم . . . يا بنى ؛ انك مصيب فيما تصوّرت . لأن الحجر يتدحرج كغيره ، والشجرة تنبت كغيرها . ولكن كل فرد من أفراد النوع الانسانى ، يخالف الآخرين فى اشكالهم وميولهم ، حتى ان التوأمين لا يتشبهان فى الصورة والاستعداد

ذلك لأن الحجر مجموع ذرّات متماثلة فى عناصرها ، لا ارادة لها ، ولا حرية . أما الانسان فليس انساناً فى مجموع اعضائه ؛ وانما هو شىء آخر خفى ، وهو النفس التى تحس اذا لابس عضواً من أعضاء الجسم ألم من الآلام ، كما أنها هى التى تحرّك هذه الأعضاء ، وتستخدمها فيما تشاء .

فالفرق اذن بين الانسان وسائر الكائنات ، ان للانسان ارادة تدفعه الى الأقوال والأفعال ؛ وهى داعٍ من دواعي التفاضل بين الرجال . أما سائر الكائنات ، فانها مجردة من تلك الارادة — ألا ترى ان البخار لا يعمل وحده ، وكذلك الماء ، والنار ، وغيرهما ؟

فالارادة البشرية أثر من آثار القوة ، ودليل من ادلة الحياة

« ٣ — الحرية »

المعلم — يا بني ؛ صرّحت بأنك تذهب الى اللعب مع رفاقك بارادتك ، وانك لم تكن مجبراً ، فهل تعجب اذا نبهتك إلى أن الانسان لا يفعل ما يفعل بمحض إرادته ؟

التلميذ — وكيف ذلك ؛ هل الانسان خاضع لعامل آخر خارجي ؟

المعلم — لا ؛ فالانسان ليس خاضعاً لعامل خارجي ؛ ولكنه تحت سيطرة عقله وضميره ، والاّ كان غير متمتع بالحرية التامة

التلميذ — وما معنى القضاء والقدر ، اذا كان الانسان مخيراً لا مسيراً ؟

المعلم — [1] يظن البعض أن عقيدة القضاء والقدر ، هي القناعة بحياة يأكلون فيها ، ويسرون ، وينامون ، مسحرين كالأنعام ؛ وان لا اختيار لهم فى قول أو عمل ، أو حركة أو سكون ، ولم يدروا أن في ذلك تعطيل قواهم ، وفقدان ثمرة ما وهب الله لهم من المدارك والقوى . (هكذا ظنت طائفة من الافرنج وكثير من ضعفاء العقول فى المشرق) . لا يوجد مذهب من مذاهب المسلمين يقول بسلب الاختيار بلمرة ؛ بل الاعتقاد الديني الصحيح ، أن للانسان جزءًا اختيارياً فى أعماله يسمى الكسب ، وهو مناط الثواب والعقاب ، وهذا لا يمنع الاعتقاد بأن كل شيء بيد الله ، ينقض ما يشاء ، ويبرم ما يشاء . ومتى اقتضت

(١) كلمة للامام الشيخ محمد عبده فى الموضوع باختصار

الحكمة الإلهية والارادة الصمدانية ؛ كانت ارادته فوق ارادة الانسان. ان الذى يعتقد أن الأجل محدود ، كيف يهاب الموت فى الدفاع عن حقهِ ، واعلاء كلمة أمته أو ملتــه ؛ أو كيف يخشى الفقر فى بذل ماله لتعزيز الحق وتشييد المجد

الاعتقاد بالقضاء والقدر ، تتبعــهُ صفة الجرأة والاقدام وخلق الشجاعة والبسالة . ويطبع النفس على السات واحتمال المكاره ومقارعة الأهوال ويحليهــا بحلى الجود والسخاء . واعتبر ذلك فيما كان عليهِ المسلمون فى الصدر الأول : فحوا الامصار ، ودوخوا الممالك ، ونشروا أعلام الفضيلة على ربوع الآفاق ، فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ واقتحموا الصعاب اجابة لنداء العزم والارادة ليس إلاّ . هذه العقيدة هى التى طالما ثبتت أقدام الفئات الصغيرة من المسلمين أمام الجيوش الخضارم . والمعتقد بالقضاء يفعل عظائم الأمور غير هياب ولا وجل ؛ لأنه يحسب نفسه بتوكله على الله ، فى أمان من كل غارة ، وأنهُ لا يصيبهُ الاّ ما كتب الله له

أتعرف يا بنى شيئاً آخر يؤثر فى ارادة الانسان ؟

التلميذ — لا ؛

المعــلم — هل الناس متماثلو الأمزجة ؟

التلميذ — لا ؛ ان فيهم ذا المزاج الدموى ، والعصبى ، والصفراوى وغير ذلك ؛ والذى أعرفهُ ، ان الدموى يندفع الى الغضب والشدة ،

وان العصبي كثير الاحساس ، وان الصفراوى حزين على الدوام .

المعلم — يا بنى ؛ ان تخالف الأمزجة يؤثر فى الارادة ، فالدموى هيهات أن يضبط نفسه عند الغضب ، والعصبى قلما يلطف تأثيره ، وكذلك الصفراوى

ولكنهم ربما استطاعوا ممارقة هذه الأمراض ، ويدل على ذلك ما يلى :

حكى ان تورين (Turenne) (أحد قواد الجيوش الفرنسية فى زمن لويس الرابع عشر) كان يشعر بارتجاف من دوى المدافع فى مبدئهِ ؛ ولكنه كان يقاوم ما يداخله بكل قواه ، وينادى صارخاً مازحاً مع أفراد جيشهِ اذا ترعزع (أنت تترعرع ! أنت ترتجف ؟)

والخلاصة ان الارادة يمكن أن تنحو من هذه العوامل ؛ ولكنَّ هناك عوامل قوية هيهات ألاّ تتأثر بها . هى العادات المألوفة التى تجعل الارادة أشبه بالأرض التى تساهل فيها صاحبها ، طوراً بالرهن ، وطوراً بغيره ، فيحرم ثمراتها . بيان ذلك ، ان الحياة سلسلة عادات : عادة الأكل والشرب ، والنوم والعمل وغير ذلك . وهذه العادات ربما تسلطت على الانسان وسلبته ارادته ؛ فما أجدرنا أن نسميها آفة الارادة . ألا ترى أن المدمنين يحاولون أن يتخلصوا من أغلال هذه العادة المرذولة ، ولكن لا يجدون الى الخلاص سبيلاً ؟ فالمرء يتعرى ازاء العادة من ارادتهِ التى وهبها له خالقه ، ويفقد حريته ، واستقلاله .

واذ ذاك يكون شبيهاً بالآلة الخاضعة لعوامل خارجية.

التلميذ — يا سيدى ان فى قدرة الانسان ان يجاذب العادات المرذولة حتى تنقطع صلته بها . يدل على ذلك ان كثيراً من المدمنين أقلعوا عن هذه الرذيلة ، وكثيراً من المذنبين أنابوا الى الله وتابوا توبة نصوحاً ، ومن الواجب على الانسان أن يلحظ أن قيمته بارادته ، وأن يحتفظ بها كل الاحتفاظ.

المعلم — نعم يا بنى ؛ أن هذا الشعور أقوى باعث للحرص على الحرية ، وأعظم مسوّغ لأن تجيب بهذه الحملة — أنا حرّ — من يدّعى أنك مقهور ؛ ولا منافاة بين توفر الارادة ، وخضوع الانسان للقضاء والقدر

الفصل الثانى — فى القانون الأدبى

« ١ — الضمير »

قد ينصرف المرء الى اللهو واللعب ولا يلتفت لأعماله الا اذا مست الحاجة ، ولا يؤدى ما يجب عليه لوالديه العاجزين عن الكسب ، اللذين أوجبت عليه كل الشرائع أن يعولهما و يعاونهما على القيام باعباء الحياة ؛ ولا يجد من الحكومة ما يردعه عن مجاراة هواه ، والاستسلام لعوامل الشهوات النفسانية . لأن ما أتاه لا يعدّ جرماً فى نظرها ، لتمتعه بالحرية الشخصية ، وان استتبع ذلك سوء سمعته ، وانصراف

اخلائه عن مساعدته ؛ ولا يلبث أن يسمع صوتاً قلبياً يؤنبهُ على هذه الأعمال فيخضع له أى خضوع

ما هذا الصوت المحترم ؟ ما هذا الصوت المؤثر ، ما هذا الحاكم القاهر ؟ هو الذى يشرف على المرء فى كل زمان ومكان ؛ هو الذى يؤنب المجرمين بصوته الرنان ؛ هو هو الضمير . الضمير هو الحاكم الداخلى ، الذى يوبخ الجناة على ما يجترحون ، ويبشر الهداة بنتائج ما يعملون

الضمير هو الذى دفع قابيل بعد قتله أخاه هابيل ، أن يردد : (يا ويلتى ! أعجزتُ أن اكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى!)

ما أشبه الضمائر الصحيحة بالكواكب المنيرة التى تنبعث أشعتها ، فتهدى أصحابها مناهج السداد ، وتصل بهم الى غاية المراد !

ان سلطان الضمائر فوق سلطان القوانين الوضعية ، وان أفرغت الثانية فى قوالب الشدة ؛ وان أصواتها فوق سائر الأصوات . قال أبو نواس :

لن ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجرُ

« ٢ — المسئولية »

الاستاذ — يا بنى ؛ أنت سنّك اثنتا عشرة سنة . فلمَ أنت صغير ؟ هذا شىء غير حسن !

التلميذ — يا سيدى ؛ ليس ذلك من أعمالى المبنية على ارادتى ، والاّ كنت كبيراً مثلك

الاستاذ — لمَ اعتلت صحتك ، فمنعت النوم الليل كله ، وحرمت شهوة الأكل . انى لست مرتاحاً لذلك !

التلميذ — يا سيدى ليس فى وسعى أن أكون على غير ما شهدت . وهل يستطيع المرء أن ينام ويأكل كما يريد ؟

الاستاذ — يا بنى ؛ انى لحظت عليك الكسل فى المدرسة أمس . فهل ذلك خارج عن ارادتك أيضاً ؟

التلميذ — لا يا سيدى ؛ ان الكسل من أعمالى المبنية على ارادتى ، ولذلك استحيك الصفح

الاستاذ — قد صفحت عنك يا بنى ؛ ولكن أود أن تجيب عما يلى : لِمَ لم تعارضنى فى نسبة الكسل اليك ، وقد صرّحت قبلاً بأن انحراف الصحة والصغر ، ليسا من أعمالك الخاصة بك ؛ ولمَ رضيت بنسبة ذلك الفعل اليك ؛ ولم ترضَ بنسبة هذين الأمرين

التلميذ — يا سيدى ؛ ان أعمال الانسان متنوعة ، منها ما يصدر عن محض ارادتهِ كالكسل والاجتهاد ، والقيام والقعود ؛ ومنها ما يكون خارجاً عن ارادتهِ كالصغر ، والكبر ، والصحة ، والاعتلال

الاستاذ — اذن أنت غير مسئول عن كل ما يصدر منك !

التلميذ — امل الاستاذ يشرح لى معنى مسئول

الاستاذ — مسئول ، أى محاسب ؛ فأنت مسئول عن كسلك وتقصيرك فى واجباتك (أى محاسب عليهِ) ولست بمسئول عن صغرك (أى لست محاسباً عليهِ) أفهمت ؟

التلميذ — نعم ، فهمت أنى مسئول عن أعمالى الصادرة بمحض ارادتى

الاستاذ — هل اذا اضطرك غيرك لعمل مايضاد ارادتك ، تكون مسئولا ؟

التلميذ — لا ياسيدى ؛ فاذا انصرفت الى الاستحمام فى النهر بارادتى ، اكون مسئولاً ؛ ولكن اذا رحى امرؤ فيهِ وحملنى على أن أغوص فى الماء ، لا اكون مسئولاً ؛ لأن ذلك مخالف لإرادتى

الاستاذ — أحسنت ؛ لأن العمل فى الصورة الأولى صادر منك بارادتك ، وفى الثانية خارج عنها ؛ وقس على ذلك سائر أعمال الانسان ، ولذلك قيل : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » وعلى هذا المبدأ القويم ، جرت المحاكم فى عقاب الجناة . فهى لا تعاقب المرء على فعله مجرداً ؛ ولكن تنظر الى ما يقارن أو يفارق العمل من النية والارادة

فاذا صوَّب انسان بندقيته الى طائر ، فأصابت رجلاً كان وراء نخلة مثلاً ، فقصت عليهِ ، لا يعاقب عقاب الجانى الذى يترصد للمجنى عليهِ ويقتله ؛ مع أن الجناية واحدة فى الصورتين

وهذا المبدأ عام يشمل الخير ، كما يتناول الشر ؛ فالمرء قد يحسن ، ولا يستحق حسن الجزاء على احسانهِ . مثال ذلك . انى زرت آثاراً بمدينة رومة ؛ وبينا أنا أغدو وأروح مع أحد الأولاد ، اذ سمعنا

تنهُّداً وزفيراً ، فدنونا فوجدنا مسافراً ضالاً ، مشرفاً على الهلاك من الجوع والخوف ؛ فهديناه الطريق فبحا . فجزاء هذا الاحسان ، لا يعادل جزاء الرجل الشجاع الذى يخاطر بحياتهِ ، ويرجع بنفسه فى الماء لينقذ آخر أوشك أن يغرق

وأن ضمير الانسان الذى يرقبهُ فى غدواتهِ وروحاتهِ ، لا يؤاخذه الاّ على ما يصدر منه بارادتهِ ، وحسبنا هذه القصية فى اقناع الذين يزعمون ان الانسان غير حرّ

« ٣ — القانون الأدبى أو قانون الأخلاق »

لئن كنا أحراراً فيما نفعل ، فاننا تحت مراقبة ذلك الحاكم الداخلى ؛ ألا وهو الضمير . فالحرية ليست مطلقة

الرجل المجرد من الضمير يجرى وراء الأهواء كما تشاء ؛ ولكن هيهات أن يوجد رجل مجرد من الضمير ، لأنهُ من لوازم الطبيعة البشرية

وليس الفارق بين الانسان وسائر أنواع الحيوان ، قوّة تمييز الحق من الباطل فقط ، بل قوة تمييز الخير من الشر ايضاً . وهذه القوة هى الضمير الذى يرقب حريتنا ، ويهديها سبيل الرشاد

فهو شبيه بالقاضى الذى تنحصر اعماله فى تطبيق القوانين على اعمال الناس ؛ ويمكن التعبير عنهُ بأنهُ قانون ، نحن خاضعون له

ثم ليس المراد انهُ قانون مماثل لقوانين الطبيعة الثابتة التى أسلفنا الكلام عليهـا ؛ ولكنهُ قانون أدبى يستطيع الخاضع له ألاّ يُطيعه . كالقوانين الوضعية التى تصعها الحكومات للفصل فى الخصومات أو (كأى نظام يراعيهِ الانسان أولا يراعيهِ)

والفرق بين هذا القانون وتلك القوانين ، يظهر من هذين المثالين : اذا أُلقيت حصاة وقطعة حشب فى الماء ؛ هوت الأولى فى القاع ، وطفت الأخرى ؛ ولا يحدث غير ذلك على الدوام ، لأنهُ قانون طبيعى . واذا نبه الاستاذ تلميذَين الى اداء واجب من الواجبات ، فلا يسوغ ان نحكم بأن التلميذين معاً يطيعان أمره . فقـد يطيعانه ويعملان الواجب ؛ وقد يطيع أحدهما ويهمل الثانى ؛ لأن الطاعة والمخالفة مبنيتان على استعدادهما ، لا على نفس أمر الاستاذ . وحينئذ يمكن أن يقال ان القانون الأدبى بمثابة المرشد الناصح ، وليس من لوازم المرشد اتباع أوامره واجتناب نواهيه

وبالاجمال ، أقول ان وظيفة الضمير ان يأمر بالخير ، وينهى عن الشرّ ؛ وليس فيهِ قوّة الاكراه على الفعل أو الترك

والانسان مفطور على أن يرتاح اذا أصاخ لصوت ضميره ، وينقبض اذا خالفهُ ، ويشعر أنهُ خالف النظام ، وأخلّ بالسلام العام ، ولا يدرى من أين أتى ، ومتى يذهب . واليك شاهداً يوضح لك حالة الضمير فى المواقف الصعبة ، وقوّة تأثيره . قال جندى : بينما كنت

أتروّض على حسر نهر السين فى يوم عاصف ، والنهر مزبد ؛ اذ لمحت سفينة منحونة رملاً أراد ملاّحها احتيار الجسر (الكو برى) ، فانكفأت بغتة ، فحاول النجاة فلم يفلح . فأوحى الىّ ضميرى ، ان ألقى بنفسى فى النهر لانجاء ذلك الغريق ؛ ولكنّ كهولتى صوّرت لى المصارّ التى تنشأ من البرد القارس ، وداء المفاصل يلاسى ، وذكرت أيضاً انتفاء المعين وندرة المساعد ؛ ففترت عزيمتى وأخذت أقدّم رجلاً ، وأؤخر أخرى ؛ ثم قهرت هذه الهواجس ، وعوّلت على مساعدة الغريق . فخطر ببالى تارة أخرى ذلك الزمن الطويل الذى لازمتُ فيهِ فراشى وأنا مريض بداء (الروماتيزم) ؛ وأنهُ كان من الواجب على السمن أن يتقن السباحة ، وأنهُ هو الذى جنى على نفسهِ ؛ وكدتُ أنقاد لهذه العوامل وأنصرف . فهمس الضمير فى أذنى بهذه الجملة المؤثرة : « انك جبان ! » . فاعترتنى هزة نعتت بى الى أن ألقيت بنفسى فى الماء ، وأنجيت الملاّح بلا عناء

الفصل الثالث — فى الخير

« ١ — شرف الانسانية »

قد ظهر لنا ان الانسان مخلوق ، حر ، عاقل ، مسئول عما يصدر عنهُ من الأعمال المبنية على ارادتهِ ، ممتاز بمواهب محترمة تكسبهُ شرفاً

هو جدير أن يحتفظ بهِ ؛ حتى لا يندمج فى صفّ الكائنات الخاضعة لنواميس الطبيعة التامّـة ولذلك كان أول أمر من أوامر القانون الأدبى ، ان يحرم الانسان فى نفسهِ سرف الانسانية الذى يرجع الى ارادتهِ ؛ ولذلك ايضاً حظر عليه الرذائل ، وحثهُ على التمسك بالفضائل التى تغالب الشّهوات النفسانية . وفضليات هذه الفضائل التى تصون شرف الانسانية ثلاث : الفطنة ، والاعتدال ، والشجاعة

فالفطنة هى سماء العقل ، وهى ضرورية لصحة ارادة الانسان ؛ لأن من لا يميز بين الحق والباطل ، يخشى عليهِ ألاّ يميز بين الخير والشر ؛ وان بعض الهفوات قد تمرّ بسهوله مع اعتيادها ، فتصير من اكبر الخطايا . ألا ترى تلك الأوهام المستولية على العقول — أوهام الاعتماد بتشؤم يوم الجمعة ، والعدد (١٣) ؛ ونعيق البومه — ما أقبح هذه النزعات ! وأتبع هذه الخرافات ! التى لا يمحوها الاّ نور الفطنة ، وضياء الذكاء !

وللفطنة أسمان : التعقل والتسامح ، وهما مرتبتان لا يستحق المرء أن يدعى بدونهما انساناً ذكياً عاقلاً

والاعتدال — كالتعقل — مرية من أسرف المزايا الانسانيه ، وليس الغرض منه نظام الطّعام والشراب ؛ ولكنّ الغرضَ منهُ التوسط فى كل شىء

فمن الاعتدال ألاّ يتصلف الرجل الذى أثرى ، (وقد نشأ فقيراً)

على زملائهِ الذين لم ينجحوا مثله ؛ أو أن يحقد الرجل الفقير على جاره الغنى ، ولا يرضى بما قسم الله له

ومن الاعتدال أيضاً ، الاعتراف بالجميل وهو من أخص فضائله . لِمَ تعترف بجميل والديك ؛ لأنهما سبب حياتك ونعمتك ؛ فمكافأتك لهما ، هو هذا الاعتراف . وكذلك الرجل المعتدل . يعترف بفضل العلماء ، والمفكرين ، والباحثين ، والمخترعين ؛ ولا يجحد لأحدهم فضلاً قلَّ او كثر ، الاّ دنيء

ما ظهر ذو رأى جديد فى العلم او الصناعة ، الاَ وجد أمامهُ كثيراً من الحاسدين والمبغضين ؛ فأنكروا جميله ، وسفهوا آراءهُ ؛ فلما انقرضوا حكم التاريخ بسقوطهم ، ورفعه الى ذروة المجد الخالد

حُكى ان كرستوف كولومب ، بعد اكتشافه اميركا ، وعودته لأسبانيا ؛ احتفل به الشعب على اختلاف الطبقات ، ولم يعقل ذلك الاحتفاء ألسنة الحساد والمكابرين ؛ بل انطلقت بالتنديد والتعريض ، والسخرية والتسفيه . فنمى اليهِ الخبر ، فلم يحفل بهِ ؛ بل دعاهم الى وليمة ، وأتى كل واحد منهم طبقاً و بيضة وقال : الحاذق منكم مَن يجعل بيضته تقف على طرفها ؛ فحاول كلٌّ ساعة ، فلما أعجزتهم حيلته أخذ هو واحدة وضربها بقوة فانكسر طرفها فاستقامت ؛ فصاح الكل : « ان كان كذلك فالأمر هين » فقال ولكن سبقت الىَّ الفكرة قبل ان ترد على بال أحدكم . وهكذا كان استكشافى لأمريكا

وفضيلة الاعتراف بالجميل ، هى التى وقفت ببطرس الأكبر ، (قيصر الروس) على قبر ريشليو وزير الفرنسيس ليقول : ليتك حيٌّ فأعطيك نصف ممالكى ، لأتعلم منك كيف أسوس النصف الآخر

(الشجاعة) وليس من الانسانية ان يجبن الانسان ، ويستسلم لما يعتريهِ او يعترى مواليه ، او معاشريه ، او معاصريه من مصائب الحياة ؛ لان الحيوان والطيور ، تدافع عن أنفسها وعن أبنائها ؛ والانسان اولى منها بهذه الفضيلة

وقد حُكى أن ذئباً خاطر بنفسهِ ، لصيانة اولاده ، حتى اخترق الرصاص جسمه وهو ثابت لا يتحرَّك ، مخافة ان يزعج اولاده بأنينهِ وصياحه

وقد قال شاعر فرنسى ما معناه

ويلاه ! تفكرت بالرغم منى فى هذا الاسم العظيم ! (اسم الانسان) ولكنى خجلت مما شاهدت من مظاهر الضعف فى النوع البشرى ؛ كيف لا وهذه معايبهُ التى تعرفينها أيتها الوحوش الضارية

فالبكاء والعويل ، والأنين والتضرّع ؛ كل ذلك من ضروب الجبن

أيها الانسان ، اعمل عملك الشاق بقوة حيث ناداك حظك ؛ مثل الذئب الذى تألم حتى مات ، ولم يبدِ صيحة ولا نبأة

قال شكسبير شاعر الانكليز : — يموت الجبان ألف مرَّة ، والشجاع لا يموت غير مرَّة واحدة

وأعلى مراتب الشجاعة ، الشجاعة الأدبية ، وهى قول الحق ، والسعى وراء الحق ، ومها يكون الانسان أميناً مخالفاً لهوى النفس ، شديد الحرص على واجباتهِ ، مهما كانت الحوادث التى تحيط بهِ

الرجل اذا قوى ضميره ، ظهرت عليه علائم الشجاعة الأدبية ، وكان أحصر جناناً ، وأربط جأشاً فى اعظم المواقف . حُكى ان رجلاً من أهل دمشق سُعى بهِ الى أبى جعفر المنصور ، ان عنده ودائع وأموالا لبنى أمية ؛ فأمر باحضاره الى بغداد ، فدخل عليهِ ، وكان المنصور شديد البطش ، سريع الغضب ، فقال له : رُفع الياحبر الودائع والأموال التى عندك لبنى أمية ، فأخرجها لنا ، فقال يا امير المؤمنين ؛ أوارث انت لبنى أمية ؟ قال لا قال : أفأنت لهم وصى ؟ قال لا قال : أتبتَ لك قصاء ذلك المال عندى ؟ قال لا ؟ قال : اذاً فما سبب سؤالك عما فى يدى من ذلك ؟ فأطرق المنصور هنيهة ثم رفع راسه متبسماً وقال لحاجبه الربيع ، افض للرجل حاجته ثم ردّه لأهله

« ٢ — النزاهة وحبّ الذات »

ان الفضائل الثلاث التى سرحناها ، ليست كل ما يطلبهُ القانون الأدبى ؛ لأنها تختص بواجبات الانسان نحو نفسهِ

والمحب لذاته لا تعوره مزية من هذه المزايا ، مع انهُ لا يكون مثال النزاهة والفضيلة ؛ لأنهُ وان احترم مواهبه البشرية ، نسى انهُ

خلق اجتماعياً . والواجب ان يعمل الانسان فى الحياة على هذا المبدإ الصحيح — ابنائى ؛ تأملوا فى هذا الفضاء ، تروا ان ليس الغرض من الحياة الحصول على مطالبنا دون سواها

فما الأرض الا نقطة فى فضاء الله الواسع ، تدور حول الشمس كسائر الكواكب ؛ وكم كوكب يكوّن دنيا كهذه الدنيا ، ويدور حول كوكب آخر اعظم منه حرماً ، ذلك تقدير العزيز العليم »

نحن وان كنا على الأرض لسنا لها بمالكين ؛ لأن حدوث أى غرق او زلزال ، يدمر هذه الأمم اى تدمير

واذا كانت هذه هى الحقيقة ، فكيف نعتقد ان الدنيا خلقت لنا وحدنا ، وننسى هذا النظام الإلهى

نعم يجب علينا ان نعتقد ان الانسان لم يخلق منفرداً ؛ وان من المتعين عليه ان يتنازل ، ويخلص لأسرته ووطنه والانسانية والصالح العام ، مراعاة لذلك النظام الاجتماعى

لما آلت الخلافة لسيدنا عمر ، رضى الله عنه ؛ أمر بعزل خالد بن الوليد ، وهو من كبار قوّاد الجيوش الاسلامية ، التى كانت مشتغلة يومئذٍ بالفتوحات الشامية ، لأسباب اقتضت ذلك ؛ فتقبل خالد أمر عزله بالامتثال والاذعان ، وحارب حنديداً كعامة الجند حتى تمّ فتح الشام . ففرح عمر بنصر الله ، ورضى عن خالد ، وأعاده الى القيادة ثانياً . فانظر كيف تجسمت النزاهة فى نفس خالد ، حتى انهُ لم يرَ فى عزله الا

حادثاً مألوفاً ، لم يَثنِهِ عن واجب الجهاد لاعلاء كلمة الله يوماً واحداً

أبنائى ، ان مصلحة الفرد ، يجب ان تنعدم حيال مصلحة الأمة ؛ وذلك هو السرّ فى موت الجندى ، وقلبه يخفق سروراً ؛ لأنهُ يعلم انه يحيي بلاده بموته . وهو السرّ فى ان يؤاسى الانسان الفقراء ، ويعلم الجهلاء ، ويتسهل الصعاب فى اكتشاف الحقائق التى ترقى العلم

ان الانسان الذى يراعى المصلحة العامة ، أفضل ممن يحصر نفسه فى دائرة منافعه الشخصية ، ولا يسمو بها الى مكان أعمّ وأشرف من هذه الدائرة . ان المحبة الذاتية ، ليست مقصورة على الاستئثار بالمنافع ، والاختصاص بالملاذّ ، ولكنها تصل بالانسان الى حد سياق حقوق الآخرين ، مما يافى الفضيلة ، ويصادّ الخير على خط مستقيم

ان رعاية المصلحة العامة هى النزاهة ، والنزاهه فصيله من عقائل الفضائل التى يجب على الانسان ان يتحلى بها ، وهى الآثار الممدوحه فى الكتب السماوية ، والآثار الحكمية

فكن نزيهاً ، ولا تكن محبّا لنفسك ، وادا شرعت فى فعل خير ، فانظر مادا يصيب العالم أجمع من حرّاء امتناعك اذا اقتدى بك غيرك . . .

قال أحد الفلاسفة : « اعمل دائماً بحيث يكون عملك قدوة لأبناء جنسك » مثلاً : اذا مرّ غلام فى مزرعة فاعترضهُ صاحبها ، فأجاب الغُلام بأنهُ لم يتلف شيئاً ؛ فعارضهُ الزارع بقوله . وادا تركتك

وشانك ، ألا يعمل الناس مثلك ويقفُون على أثرك

وبهاتين القاعدتين : الحرص على شرف الانسانيــة ، ورعاية المصلحة العامة يحور المرء سرف الكمال

« ٣ - خلود النفس »

الاستاذ - أتعرفون علم الحساب ؟

التلميــذ - نعم ، ونعرف قواعده

الاستاذ - أين الحساب اذا لحظتم ان فى وسعنا ان نحرق كتبه مع بقائهِ فى اذهانكم ؟

التلميــذ - اذاً ، هو فى رؤوسنا

الاستاذ - نعم ، فى رؤوسكم ، بل فى انفسكم

الاستاذ - اذا لحظتم ذلك ، فأين الخير الذى يأمرنا بهِ القانون الأدبى حيثما اوليتم أمراً معروفاً مادياً ، بأن اعطيتموه مالاً ؛ أو أدبياً ، بأن أنقذتموه من الغرق وهو مشرف عليهِ

التلميــذ - هو فى أنفسنا ، (قياساً على المثال السابق)

الاستاذ - نعم ، فى أنفسكم ، وذلك البترُ الذى يتألق فى اسرّة وجوهكم ، ناشئ من السرور الذى كافأكم بهِ الضمير ؛ وهو منشأ شعوركم بكبر قيمتكم بما اضيف الى شخصيتكم من الكمال ، باستمراركم على اسداء المعروف ، وايلاء الجميل ؛ وهو منبع ما يلابس اجسامكم

من النشاط الذى يشابه نشاط الاجسام بالرياضة المدنية

والخير لا تزول نتائجه بزوال الجسم ؛ وهذا الاعتقاد هو الذى يدفع الانسان الى الاحسان ، ولو تخيل انهُ مشرفٌ على موت فجائى ؛ وهو الذى يحبب الى الجندى بذل روحه فى خدمة وطنه

نعم ، ان الاعتقاد بأن الأرواح حياة باقية ، هو الذى يبعث بالمحسنين الى بذل اموالهم فى سبيل البرّ ؛ وهو الذى يدفع دُعاة الاصلاح وهُداة الأمم ، الى استعذاب ما يقاسون من أنواع العذاب

وليس من المعقول ان الاخيار والأشرار متساوون بعد مماتهم ؛ وان العمر الطويل الذى يقضيه صاحبه فى اسداء الخيرات وعمل المبرّات ، يكون بلا نتيجة . واذا لم يكن من المعقول ذلك ، وجب ان نسلم بخلود الروح

والخلاصة ان الخير كامن فى النفس ، كمون النار فى الزَند ؛ وان النفس خالدة لا تفنى بفناء الجسم ، كما اجمعت عليهِ الشرائع السماويه كلها

قال الامام الشيخ محمد عبده :

« هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة ، المنبثّ فى جميع الأنفس عالمها وجاهلها ، وحتيها ومستأنسها ، باديها وحاضرها . قديمها وحديثها لا يمكن ان يعدّ ضالة عقلية ، أو نزغة وهمية ؛ وانما هو من الالهامات التى اختصّ بها النوع الانسانى . . » اهـ

واذا لحظنا ما اثبتناه من أن قواعد الحساب كامنة فى النفس ،

وانها كانت موجودة قبل اتضالها بالأذهان ؛ جار ان نحكم — قياساً على ذلك — ان الخير كامن فى النفس وانهُ كائن قبل اتصاله بها ؛ وان هذه الصفات المحمودة التى تندرج فى هذه الكلمة الطيبة ، — الخير — صفات شريفة ، لذات مقدسة مخالفة للحوادث ، متصفة بالجود ، والقدَم ، والبقاء ، وسائر صفات الكمال ، منزهه عن كل نقص وهى « ذات الله سبحانهُ وتعالى »

الفصل الرابع - فى الواجب

« ١ الواجب »

الواجب هو الشعور الذى يحمل الانسان على الانقياد للقانون الأدبى ، وهو يأمرنا بما يأمرنا بهِ ذلك القانون ، من اجتناب الحرص على المنفعة الذاتية ، ومطاوعه الشهوات النفسية ، التى اخصّها صفتا البغض والحب

لأن البغض شعور دنىء سافل ، لا يخامر الآ ذوى النفوس الصغيرة ؛ وادن ، يجدر بنا ألاّ نسىء الى من أساء الينا ، وان نعتبره من المنكودين الجديرين بالشفقة والاحسان

الحب فطرى فى الأهل والأقارب والأحباء ، واذاً ، لا يصحُّ أن يكون هو قاعدة مبرَّاتنا ، ولا أن تكون مقصورة على هؤلاء ، لانسياقنا

الى موآساتهم ، ومعاونتهم بالفطرة ؛ ولكن يجب ان تكون ميولنا شاملة الأقارب والأباعد ؛ وان نساعد البائسين ، وان كانوا بعداء ؛ ونقذ من يقعون فى مآزق الأخطار ، وان لم يكونوا من الأهل والأنصار

وعلينا بالإجمال ان نتحلى بالفضائل ونتخلى عن الرذائل ؛ وان نقرن أعمالنا بالنية المحمودة ، لأنها أساس الثواب والعقاب ؛ وألّا نجعل المعروف ذريعة لنيل غرض من الأغراض ، لأن ذلك يخرجهُ من دائرة الفضيله

حكى ان تاجراً أصيب بحريق دمّر له أموالاً عظيمة ؛ فاجتمع اخوانهِ من التجـار ، وأظهروا أسفهم وحزنهم على ما اصاب أخاهم بخطبٍ طويلة عريضة ؛ وكان كلٌّ يختم خطابه بقوله : اشاركك أحى فى مصابهِ العظيم . الى أن قام آخر و بيده كيس نقود وقال : انى اشاركك أخى فى مصابهِ العظيم بعشرة جنيهات ، والفت نظره الى من بجواره وقال له : وانت بكم تشاركهُ ؟ فقال بعسرة ، وفتح باب الاكتتاب ؛ فاجتمع له مال عوّض عليهِ ما اكلهُ الحريق فزالت نكبة الرجل بالاشتراك الفعلى فى مصابهِ «ولا خير فى قول اذا لم يكن فعلا »

« ٢ — القانون الوضعى »

القانون الوضعى هو القانون الذى تضعهُ الحكومات ، ليكون اساساً للنظام الادارى ، وقاعدة لاستمتاع كل فرد من الأفراد بحقوقة الفرديا

والاجتماعية ؛ وهو الذى ينهى الانسان (والاّ كان مسئولاً جنائياً او مدنياً) عن كل قول أو عمل يبتأ عنهُ ضرر للفرد أو الأمة . وحينئذ ، يكون مغايراً للقانون الأدبى ، الذى يحثّنا على التمسك بالفضيلة ليس الاّ ، ومن الواجب علينا ، ان نحترم القانون الوضعى ، باعتبار انهُ قانون عام بُنى على آراء اللجان التشريعية ، والمجالس النيابية ؛ وروعيت فيهِ المصلحة العامة بقدر الامكان ؛ وليس لنا أن ننتقده ولو كان فيهِ ما يستوجب الانتقاد . لأن اباحة الانتقاد للأفراد ، تستتبع تعدّد الآراء لاختلاف النظر ؛ والتوفيق بين الآراء المتعددة من المستحيلات

واذا فرضنا ، أن القوانين العادلة هى القوانين الصحيحة الجديرة بالاعتبار والاحترام ، فالواجب على كل وطنى ، أن يعوّل على ضميره فيما يتعلق بحياتهِ الفردية ، وعلى القانون الوضعى فى حياتهِ العمومية ، لأننا قضاة أنفسنا ولسنا قضاة الهيئة الاجتماعية

فاحترام القوانين سياجُ الممالك الذى يصونها من الاختلال والانحلال ؛ وهو مبدأ العقلاء الذين يحبون الخير لبلادهم واعتبر ذلك فيما حُكى من أنهُ كان فى حاضرة اليونان (اثينا) منذ ثلثمائة وألفى سنهِ ، حكيم اسمهُ (سقراط) انصرف الى تهذيب الشبان ، وحثهم على التمسك بمبادئهِ ؛ فوجد عليهِ فريق من معاصريهِ ، فأجمعوا كيدهم ابتغاء اهلاكه ، فتقوّلوا عليهِ ، وساقوه الى محكمة فاسدة ؛ فحكمت عليهِ . فانبرى فريق من أشياعهِ وأنصاره الموسرين ؛ ومهدوا له سبيل الفرار

من السجن ، والتخلص من آلامه . فاستخفّ رأيهم ، فألحوا عليه ، فصاح فيهم قائلا ! «وقوانين الوطن» . أيحمل بى أن أخالف القوانين وأنا أحق باتباعها واحترامها ؟ انى لأوفن اذا أحبت صوتكم ، ان ضميرى يوبخنى توبيخاً شديداً ، وينادينى بهذه الجملة :

« أتخون بلادك يا سقراط ؟ »

لا ! لا ! ان موتى وأنا برىء مع احترام القوانين التى هى قوة الوطن وساعده ، خير مما رينتموه لى

وليس القيام بالواجب منحصراً فى اتباع القانون الوضعى ؛ بل الواجب اتباع القانون الأدبى أيضاً ، لأن الأول كما تقدم ، لا يتعلق الا بمن يبتدأ عنهُ ضرر للفرد أو الجماعة . فالرجل الكسول الجبان الجاهل ، لا يمسهُ القانون الوضعى بأذى ، ولا يعاقبهُ الا ضميره . أى القانون الأدبى الذى يحضنا على مراعاة الفضيلة فى كل زمان ومكان ، ويأمرنا بالعمل فى هذه الحياة المعتبرة ميداناً للمواهب الالهية

« ٣ - الأدب »

الأستاذ — أتعرف علم الأدب ؟

التلميذ — أسمع أنهُ يُنبهنا الى ما يجب فعله . وما يجب تركه

الأستاذ — نعم

التلميذ — اذاً ، لا داعى الى معرفة هذا العلم ، اكتفاء بضميرنا

الذى يرشدنا الى الخير والشرّ ، والقانون الوصعى الذى يرفينا عند فتور الصمير

الاستاذ — هل تستطيع أن تورد مثالاً لذلك ؟

التلميـذ — نعم ، كفأت المحبرة أمس ، فسال مدادها على بساط . ولما شاهدت ذلك أمى ، استفهمت عمّن كفأها ؛ فملتُ بادئ بدء الى الانكار ، واسناد ذلك الى الريح أو الهرّة أو أحد الخدَمة . ولكنى لم أستطع ذلك ؛ بل أصغيت الى ضميرى ، وحهرت بالحق متجرّد نظرها الىّ

واداً ، يمكن الاستغناء عن دِراسة علم الأدب فى سائر المسائل قياساً على هذه المسئلة (بالضمير والقانون الوصعى)

الاستاذ — بابنى ؛ هذا جواب صريح . ولكن — هل تما ضميرك الى هذا الحد ، بلا تعهد ولا تربية

وهل تتحيل أن تكون ذا أخلاق فاضلة ومبادئ طيبة ، اذا نشأت بالاتفاق فى صحراء ، ولم يتعهدك والدك ، أو لم يدلك أحد على طرائق الخير والشرّ ؛ اذا صادفتَ أعمى مسكيناً فى طريقهِ ، وانشرح صدرك لاعطائهِ درهماً مما معك ؛ أو اذا أُعطيت كعكة أقسامها غير متساوية ، فاقتصرت على تناول الجزء الأصغر - فما الذى دفعك الى الاحسان الى الأعمى فى الصورة الأولى : والى الاقتصار على الجزء الصغير فى الصورة الثانية ، أيرجع ذلك الى الصمير وحده ؟ كلا ! انما يرجع الى الصمير ، والى من ربّاك وهذّبك ، ونمى

فيك هذه العواطف الشريفة ، وأرشدك الى أن الاحسان فضيلة ، والاقتصار على الأصغر فضيلة

ومن ذلك تعلم يا بنى ، ان الضمير وحده لا يكفى فى الدّلالة على الخير والشرّ ؛ وأن لا بدّ من تهذيب النفوس ، وتقويم الأخلاق ، وتعويد المرء ملازمة الخير ومجانبة الشرّ ، وهو عين علم الأدب ؛ وذلك هو الحكم فى ارسال الرُّسل عليهم السلام . ولو كانت الضمائر وحدَها كافية فى الارشاد ، والحثّ على اتباع الأوامر ، واجتناب الزواجر ؛ ما بعث الله الرُّسل مبشرين ومنذرين . وليس علم الأدب من العلوم الصعبة المنال ، كالحساب والجبر والهندسة ونحوها ؛ ولكنهُ علمُ المبادئ الطيبة ، والتدرب على الأخذ بها فى القول والعمل

وهى كما تعلم ، احترام الشرف الانسانى ، وفضيلة النزاهة ، واحترام القوانين ، وحب الوطن وما أشبه ذلك . . .

والمعلم الأول لهذا العلم أمك ، ثم أبوك ، ثم استاذك الذى يسند اليهِ اتمام تربيتك

وكأنك يا بنى اقتنعت بأن علم الأدب مفيد ، وانهُ ليس من المستحسن أن يُهمل الانسان فيشابه النبات الذى ينبت بالاتفاق فى أى مكان ، ولا ينقل الى أرض خصبة ؛ وان هناك فرقاً بين ثمر الشجرة البرية ، وثمرة الشجرة المغروسة التى يتعهدها غارسها بوسائط النماء

يا بنى ؛ ان الأطفال الذين يعتنى بتربيتهم ، يحسن مآلهم ، ويحمل

مستقبلهم ؛ كما أن الأشجار التى يعتنى بها تثمر ثماراً طيبة

واذا كانت قيمة الانسان بآدابه وأخلاقه ، جاز أن نحكم بأن علم الأدب من أخصّ العلوم التى ترفع قيمة الشخص فى هذا العالم الانسانى

ما وَهبَ اللهُ لامرئٍ هبةً أفضلَ من عقلهِ ، ومن أدبهْ

هما حياةُ الفتى ؛ فان فقدا فمقدُه للحيــاةِ أليقُ بهْ

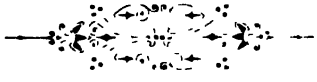

الباب الثانى

« ١ — الأسرة »

الانسان مدنى بالطبع ، لا يستطيع أن يعيش منفرداً ، لعجزه عن القيام بجميع لوازم الحياة . واذا كان لا بد من اجتماعه بالآخرين ، كان من واجبات القانون الأدبى مراعاة حقوقهم

وأول دائرة من دوائر الاجتماع ، هى الأسرة (العائلة) التى تتركب من الأب ، والأم ، وأولادهما ؛ وهى أضيق دوائر الجمعية البشرية التى تعمل فى هذه الحياة على مبدإ التعاون والتناصر ، وأبسط الجمعيات التى يتكوّن منها المجتمع الانسانى

والأسرة أثر من آثار النظام الطبيعى ، بدليل وجودها فى الحيوان الأعجم ؛ إلاّ أن وظائف أعضائها ، تخالف وظائف أعضاء ما عداها من الأُسر . فالطيور تغذى افراخها ، وتدافع عنها ، والذكرُ لا يفارق أنثاهُ مدة الحضانة ، وكلاهما لا يبعد عن وكره حتى تقتدر تلك الافراخ على الطيران ، وتستقلّ بنفسها . ولكن ذلك كله ، لا يعادل ما يعمله الأبوان فى تربيتك بحنان ، وشفقة ، ومحبة . واذن يجب عليك أن تعرف ما لهما من الحقوق

ورئيس الأسرة هو الأب ، وهو الذى تنسب اليه ، وهو المسئول عن معيشة أعضائها وسيرتهم ، وهو الذى يعاهد زوجته على أن تكون شريكته فى الحياة ، وأن يساعدها ويرعاها وأولادها

ما أشبه الأسرة بجسم ، وما أشبه الأب برأس ، وليست واجبات الأب نحو أبنائه ، منحصرة فى مأكلهم ومشربهم وملبسهم ؛ ولكنها تتناول تهذيب ضمائرهم ، وتقويم أخلاقهم . واذا اقتصت الحال بعده عن أسرته ، عهد الى الأم فى القيام بتلك الواجبات

وأما الأم ، فحظها من أشرف الوظائف ؛ لأنها هى التى تتعهد الأبناء فى أول عهدهم ، وتتولى تربيتهم الجسمية والنفسية فى حداثة سنهم ، وهى التى ترسخ تعاليمها فى نفوس أبنائها رسوخ النقش فى الحجر

قيل ان ابراهيم ليكولن (Lincoln) ، رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، كان ابن رجل حطاب فقير ، وقد ترقى بجده واجتهاده الى أسمى مركز فى الحكومة . فقال للوفود الذين وفدوا عليه يهنئونه بمنصبه :

« لستُ أحقّ بالمدح من والدتى التى أنا مَدِينٌ لها بكل شىء »

نعم ان تعاليم الأم ترتسم فى مخيلة الصغار ، ارتسام النقوش فى الأحجار ، وهى أقدر على تهذيب الأطفال لمعرفة ما يطرأ عليهم فى مختلف أطوارهم . ولذا كانت تربية البنات أساس ارتقاء الشعوب ، لأنهنّ أعضاء المدرسة الأولى ، مدرسة المنزل التى لا تمحى آثارها على مر العصور وللأبوين كليهما رأىٌ محترم فى الأسرة . والأمّ تمتاز عن الأب

بزيادة الشفقة والاستعداد لتضحية راحتهـا وصحتها ، حرصاً على راحة أبنائها

والأبُ يمتاز عنها بما له من السيطرة الطبيعية على أعضاء الأسرة ، حفظاً لكيانها ، وصيانةً لنظامها

ومن الواجب عليهم ، أن يمتثلوا أوامره ، ويحترموا آراءه ؛ وللأم الحقُّ أيضاً فى ابداء رأيها فيما يتعلق بشؤون الأسرة ؛ لأنها فى مرتبة الأب ، ودرجتها الأدبية فوق كل الدرجات

والأم هى التى تمثل الارتباط المنزلى ، والمحبة الأهلية ، والواجبات التى تربط الرجل بمنزله ، وهى التى تهيئ أسباب السعادة والهناء

والأب وكيل الهيئة الاجتماعية فى أسرته ، وعليه اداء واجباتها التى ربما احتطفت أحد أبنائهِ ، وهو قرير العين ، ناعم البال ، ليؤدى خدَماً أوسع مجالاً وأسمى اعتباراً . وهو الذى يغرس فى نفس ابنهِ هذا ، وجوب انتظامه فى سلك الجند عند طلبهِ ، ليستعد للدفاع عن بلاده ، وليفهمهُ منذ نشأته أنهُ ليس خصيصاً بأسرته ، وان من الواجب عليهِ أن يستعد لتضحية روحه ، اذا حلَّ خطب بالحرية أو سلامة الوطن

وهل أتاك حديث رواية هوراس ، (Horaces) تأليف الشهير كورنيل (Corneille) ؟ وخلاصتها أن روما والألب ، كانتا مدينتين عظيمتين ، وطالما تنازعتا المركز الأول بين سائر المدن ، فاتحدت الآراء

محافظة على السلم ، أن يصارع ثلاثة من الألب ، ثلاثة من روميا ؛ على أن يكون المركز الأول لمن يغلب مندوبوها . فحرج فى المناضلة الأولى مندوبو الألب الثلاثة ، وقتل اثنان من مندوبى روما وولى الثالث الادبار ، فصاح الرومان صيحة مؤثرة انتزعت قلوبهم من صدورهم . فأسرعت (جولى) احدى فريبات (هوراس) والد مندوب رومة الثلاثة ، وأخبرته بانهزام روما ونجاة ابنه الأصغر ، وتخيلت أنها حملت بسرى اليهِ . ولكن هوراس رأى ذلك خيانة من ابنهِ لوطنهِ ، وخيلاَ بالدفاع عنهُ . فأجابت جولى بأن ابنهُ قاوم كل المقاومة ، وأخواه حيَّان ؛ ولما أن رأى نفسه عاجزاَ عن الدفاع أمام الثلاثة الذين أحاطوا بهِ احاطة السوار بالمعصم . تخلص بالهرب ، واسترسلت فى الدفاع عنهُ بقولها : وما الذى كان يفعله ازاء هؤلاء الخصوم الأشداء ؟ فأجابها هوراس بصوت جهورى « كان يجب أن يموت ! »

فهذا الصوت الرهيب ، الذى انبعث من أبٍ جعل محبة الاوطان فوق محبه الأبناء ، كان له أعظم تأثير فى نفوس السامعين الذين شهدوا تمثيل هذه الرواية على أحد المراسح العمومية ؛ فاستغرقوا فى البكاء زمناً طويلاً ولم تجفَّ دموعهم ، حتى علموا أن (جولى) تعجلت بإخبار (هوراس) بما يخالف الحقيقة ؛ وان ذلك الشاب احتال فى قتل خصومه الثلاثة الذين اختلفت جراحاتهم ، بحملهم بهربه على اقتفاء أثره واحداً واحداً ، وتمكنه من قتلهم على التعاقب ، والفوز بفخار

الانتصار . وما أعظم سرور ذلك الشيخ الذى أصمَّ أذنيهِ عن سماع دفاع (حولى) ، وأغمض عينيهِ لئلاّ يشاهد دموع تلك الباكية !

« ٢ — واجبات الآباء للأبناء »

« الاعتناء المادى »

أول الواجبات الأبوية ، العناية بتربية أبنائهم تربية جسمية . والآباء مدفوعون الى اداء هذا الواجب بعامل الحنان الفطرى ؛ حتى الحيوان الأعجم مطبوع أيضاً على تعهد أولاده ، وهى سنة من السنن الإلهية التى اقتضاها عمران الكون . على أن صغار الحيوان ربما استطاعت الاستقلال ، والدفاع عن نفسها بعد بضعة أيام أما الطفل ، فانهُ محتاج الى تعهده فى جميع أطوار الطفولة

ولا ريب أن الذى يؤدى جميع هذه الواجبات المتنوعة هى الأم ؛ فهى التى ترضعه وترعاه ، وتتولى نظافة جسمه وثيابه ؛ وهى التى تؤثر راحته على راحتها ، وتستسهل حمله على يدها ساعة بل ساعات

وهى التى ينفطر قلبها وتنسكب دموعها ، اذا اعتراه مرض من الأمراض . أما الأب ، فانهُ يصرف أوقاته فى مباشرة أعماله التى يستمد منها ما يساعده على الحياة الطيبة ؛ وصِلَتُهُ بالطفل منحصرة فى عطفهِ عليهِ ، والقيام بشؤونه المادية .

ومن ذلك يؤخذ أن الطفل فى عهد طفولته من اختصاص أمه .

وذلك هو السر فى هذه التفقة التى لا تحدّ ، وذلك الارتباط المتين الذى لا ينفصم

وأيها الأبناء ؛ تصوّروا على الدوام سفقة أمهاتكم ، وانعطافهنّ نحوكم . وتعهدهنّ اياكم فى جميع أحوالكم ؛ واعترفوا بفضلهنّ واحترموهنّ سرّا وعلانية ، وسارعوا الى تحقيق مطالبهنّ . ان الذين يرعون حقوق أمهاتهم ولا ينسون فضلهنّ ، أولئك هم المفلحون

واذا شب الطفل ، تحدّدت وتعدّدت واجبات أبيه له ، فمن ذلك ادخاله اياه المدرسة ، وتعهده بما يرى فيه الميول الطيبة والنظر فى مستقبله ، واختيار ما يلائمهُ من الأعمال ، واعداده للحياة الاستقلالية ، حتى اذا مات أبوه استطاع الولد أن يعيش عيشة راضية . لأنا اذا فرضنا أن الطفل يخلف أباه الفلاّح فى مزرعته ، فماذا يعمله اذا لم يكن أبوه قد علمهُ الفلاحة

فالواجب على الطفل أن يزاول أىّ عمل من الأعمال ؛ حتى اذا أدّى واجب الخدمة العسكرية تعونة والديه ، عاد واستمرّ فى عمله الى أن تتوفر لديه أسباب الحياة الهنيئة ، وهنالك يتسنى له أن يكافئ أبويه اللذين ربّياه تربية صحيحة ، وأحسنا اليه — وهو فى المهد — كل الاحسان . وأن يريهما من مظاهر الاخلاص ما يشرح صدرهما

ما أجمل ذلك الحنوّ وأحلاه : ان حنوّ الآباء ، واخلاص الأبناء فوام السعادة البيتية

« الواجبات العقلية والادبية »

من الواجبات الأبوية ، تربية الأبناء تربية عقلية أدبية أيضاً ، لأن الهيئة الاجتماعية تطالب الأبوَين بذلك ، ليكونوا من أعضائها الصحيحة . ولو كانت الواجبات الأبوية منحصرة فى التربية الجسمية . لأشبه الانسانُ سائرَ أنواع الحيوان التى تربى صغارها الى أن تشب فتتركها وشأنها

ومبدأ هذه التربية دَورُ التفاهم . وقد اعتاد الأبوان أن يعهدا الطفل الى امرأة جاهلة ، لا تبتّ فى ذهنهِ إلّا الخرافات ، ولا تلقى على مسمعهِ الّا الترّهات المتعلقة بالمنعوذين والشياطين ؛ فيشبّ الطفل على مبادئ فاسدة

مع أن الواجب عليهما ألّا يسندا تربية أبنائهما الّا الى مربيات قادرات على غرس المبادئ الصحيحة ؛ وعليهما أن ينبها الطفل فى حداثة عهدهِ الى أن ما نشاهده فى هذا الكون من النظام العجيب ، انما هو نتيجة جريهِ على نواميس طبيعية صحيحة ، ولا بدَّ أن يكون له منظّم عظيم ، هو الله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظّلُمات والنور ؛ قياساً على أن هذه المصنوعات المحسوسة لم توجد بنفسها

وعليهما أن يعوّداه احترام الحقائق التى قرَّرها العلماء ، ويرشداه الى فوائد العلوم المختلفة من طبيعة وكيمياء ، وتاريخ طبيعى ، وتاريخ

بشرى ، ورياضة واقتصاد سياسى ، وأدب وغير ذلك بحالة تناسب استعدادَهُ وادراكه

وعليهما أن يغرسا فى نفسهِ حبَّ الوطن ، ويعلماه ما يجب عليهِ له ويفهماه ما له وما عليهِ من الحقوق الاجتماعية كل ذلك فى أول نشأته ليمتزج بلحمه ودمه

واذا جاء دور التعليم ، وجب على الأب أن يعلم ابنهُ فى المدرسة تعليماً صحيحاً ؛ ولو كان محتاجاً الى مساعدته فى أعماله اليومية ، او كانت الأمّ محتاجة لمساعدة ابنتها فى التدبير المنزلى . لأن ذلك لا يدفع مدمة التقصير

والواجب عليهما أن يعتقدا أن لا حقّ لهما فى حرمان أبنائهما نعمة التعليم المفيد ، وهل يرضى الأب أن ينشّ ابنهُ جاهلاً عاجزاً عن الجولان فى ميدان الحياة ، فيعيش عيشة الجهلاء المكودين الذين لا يفطنون لخداع من يحاولون الاستفادة من جهالتهم

من العادات المضرّة أن يحرم الأب ابنه التربية رغبة أن يستعين بهِ فى أعماله ، أو أن يعهد فى تعليمه الى أى صانع ليجتنى ثمرة غرسه فى المستقبل القريب . والواجب عليهِ أن يعلمه تعليماً مفيداً ، ليحيا حياة طيبة ، وليدرك معانى ما يشاهد من التقدّم فى جميع الطبقات وجميع الصنائع

عرفت فلاّحين كانا متجاورَين ، وكان لكل منهما ابن ، وليس لأحدهما ثروة تساعدهُ على تعليم ابنه تعليماً صحيحاً . فعمد أحدهما

الى ابنه واخرجه من المدرسة ابتغاء أن يعاونهُ فى أعماله الزراعية قبل أن يُتقن القراءة والكتابة ؛ فكانت النتيجة أن نسى ما تعلمهُ ، وأن عكف على اللهو واللعب فى اوقات الفراغ ، حتى حان ميعاد التجنيد فقضى مدتهُ بين اهانة وعقاب ، لعدم استعداده لاداء واجباته بشكل يرضى . وعاد الى أمه التى فقدت زوجها أثناء غيابه ، وأخذا يعملان بأجر زهيد ، وعاشا فى عسر وعناء ، ولم يسنّ له ان يفترن باحدى الفتيات لإعراضهنّ عنهُ لسوء حالته بعد كبره

أما الآخر ، فقد أهمل ابنه فى المدرسة الى ان ناهز الرابعة عشرة ولما انتظم فى سلك الجند ، أدّى واجباته بعنايه ونشاط ؛ وترقى الى رتبة ملازم ومال الى الاستمرار ، فحاز رتبه عالية ، كما حاز وساماً على أثر جرحه فى احدى الوقائع الحربية ، وعاد بعد ذلك الى أبيه وله معاش غير يسير ، وله سيرة مرضية دفعت تاجراً كان قريباً من منزله الى ان يتخذه كابنه ثم اقترن باحدى الفتيات المهذّبات ، وعاش عيشة السعداء ، واستعدّ لأن يعاون أبويهِ عند عجزهما عن فلاحة الأرض. أليس ذلك دليلاً كافياً على فضل التعليم ؟

والواجب على الأب أيضاً ، أن يحبب الى ابنهِ كل فضيلة ، ويبغض اليهِ كل رذيلة ، وأن يعوّده تنظيم العادات ، واحترام نفسه ومعاشريه

وحسبُ الأب الذى يقصر فى تربية أبنائهِ ، أن يكون له فى الجمعية البشرية أبناء أشرار

طلب رجل من (ارستيب) الفيلسوف اليونانى ، أن يربى له ابناً ؛ فطلب الفيلسوف مالا تقل على الرحل فقال له : يمكننى ان أشترى بهذا المقدار عبداً . فقال نعم ، فيكون عندك عبدان !

وحسْبُ الأب الذى يعنى بأبنائه ، أن يكون له فى المجتمع الانسانى أبناء أبرار ، لهم مكانة شماء فى نفوس معاصريهم

حُكى أن فتى تكلم بين يدى المأمون فأحسن فى القول . فقال له : ابن من انت ؟ قال : ابن الأدب يا أمير المؤمنين . فقال : نعم النَّسَبُ انتسبتَ اليهِ

ولما هارون الرشيد علىّ بن حمزة الكسائى إمام النحاة فى عصره فوقف بموكبه وتلطف فى السؤال عن حاله ، وكان احتجب لمرض فقال : أنا بخير يا أمير المؤمنين . ولو لم يكن من ثمرة الأدب غير ما وهب الله تعالى له من وقوف أمير المؤمنين لكفى ، ودعا له بالخير

وليس الغرض أن يكتفى الأب بتلقين ابنائهِ المبادئ الطيبة ؛ بل الواجب أن يكون لهم قدوةً حسنه ، يعطيهم دروساً عملية تهذيبية بأعماله . لأن الأطفال مطبوعون على التقليد ، ولا يتصورون إلاَّ الكمال فى آبائهم ؛ فيندفعون بعامل فطرىّ الى محاكاتهم

وقد حُكى أن زعيم عصابة من اللصوص فى آخر القرن الماضى ، فى جزيرة صقلية ، أصبح ذا ثروة طائلة يسرت له أن يعيش عيشة رخاء فى منزله الذى لم يستطع أحد الاهتداء اليهِ ، لأنهُ فى قمة جبل

شامخ . وانهُ لما مال ميزان حياتهُ ، كفّر عن سيئاته بالانابة والطاعة ؛ ولكنهُ كان على الدوام فى كدر عظيم لاعتقاده أن ابنهُ ريحانة فؤاده وموضع آماله ، سيقفو أثره ، ويكون من الأشرار . وقد رسخ فى نفسهِ هذا الاعتقاد بما استنتجهُ من هذه الحادثة ، اذ ضلّ فلاح فى الجبل يوماً ، بعد أن اصطاد حيواناً لذلك الزعيم ؛ فلقيهُ ابنهُ وأسرَه لمعاقبته على جرأته . وما تنفس الصبح حتى أقبل ابن الفلاح يستعطف الزعيم ، ويرجو أن يحلّه محلّ أبيهِ ، وأن يقتصّ منهُ بعد كما يشاء ، لشيخوخة أبيهِ ، وعجزه عن احتمال العقاب ، وقال غير ذلك مما حمل الزعيم على أن يقارن بين هذه الحالة وحاله ابنهُ الذى همَّ بقتله منذ أيام ، فسأل الفلاّح عما اتخذه من الوسائط فى تربيـة ابنه هذه التربيه التى وصفتهُ فى صف الأتقياء الذين يعرفون حقوق الآباء . فأجابهُ الفلاّح بأنهُ كان صالحاً فاقتدى بهِ ابنهُ . وهنالك أدرك الزعيم ، أن ابنـهُ سيكون من الأبرار ؛ لأنهُ هو كان من الأبرار الفخّار « ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والدهِ »

« ٣ - السلطة الأبوية »

الاستاذ — لمَ تطيع والديك اذا أوصياك أن تُتقن أعمالك المدرسية ، وتحترم معلميك ، وتراعى الآداب مع الأجانب ، وتعامل اخوانك بالوداعة ولين الجانب ، وتعطفَ على البائسين ، وتحسنَ الى

الفقراء وغير ذلك من مكارم الأخلاق ؟

ولمَ تطيعهما اذا أرشداك الى مجانبة الصوضاء في الفصل ، والكذب ، وايذاء زملائك ، والإعراض عما ليس لك ، وغير ذلك من الصفات المرذوله ؟

التلميذ — لأنى أعتقد أن وصايا الأبوَين ، انما ترجع الى الخير الذى يحثى على عمله الضمير

الاستاذ — نعم ؛ ولم تطيعهما اذا أمراك ان تعمل عملاً مباحاً ، كأن أمرَك أبوك ان توصل خطاباً الى مكتب البريد ، او أمرتك أمك ان ترقب المنزل أثناء غيابها عنهُ حتى تعود ؛ أفتطيعهما لأن فى قدرتهما ان يعاقباك ويطرداك ، كما يعاقبان ويطردان الخدَمة الذين لا يفعلون ما يؤمرون ؟

التلميذ — كلاّ ! ان طاعتى اياهما مبنية على أنهما سبب وجودى فى هذه الحياة ، وأن لهما الفضل العظيم فى تربيتى تربية جسمية وعقلية

الاستاذ — فد أصبتَ يا بنى ؛ لأن من الواجب على الطفل أن يخضع ارادته لارادة والديهِ ؛ وان يعرف ان حياته مرتبطة بحياتهما ، ارتباط حياة الفرع بحياة الأصل الذى ينبت بجانبه ، وان يراعى ذلك الشعور الشريف الذى يدفعهما الى تعهده ، والمبادرة الى اجابة مطالبه. وتلك هى الشفقة الوافرة التى يمثّلانها أجمل تمثيل اذا صادفته شائبة من الشوائب ؛ وان يستحضر فى ذهنه على الدوام ، ان ليس فى معاشريهِ

من يحب له الخير والسعادة حباً صحيحاً إلاّ أبواه اللذان يسعدان بسعادته ، ويشقيان بشقاوته

يجب على الولد ان يفهم كل هذه المعاني ؛ وان يطيعهما اطاعة جسمية وقلبية ، وأن يخلص لهما في السر والعلن ؛ وان يعمل بنصائحهما وان يعتقد كل الاعتقاد ان الفوز والفلاح في امتثال اوامرهما ، والخيبة والخسران في مخالفتهما

ولقد رأيت ولداً تبراوح سنه بين عشر سنوات ، واثنتي عشرة سنة ؛ جرح وقت الأصيل رغبة ان يلعب مع رفقائه في المرج ، وخالف أمه التي أمرته ان يأخذ رداءه مخافة البرد فكانت النتيجة انهُ مرض بعد ثلاثة ايام ، وكاد يذهب فريسة الحمى . . ؛ ولما ناهز الثالثة عشرة من عمره ، خالف أيضاً أباه الذي اراد ان يخلفهُ في عمله ، وسافر الى باريس ابتغاء ان يمارس صناعة ارفع من صناعة ابيه ؛ فباء بعد ثلاث سنين بالخيبة ، وقد أضوتهُ العلل والأمراض ، واصبح محتاجاً أولاً لاكتساب الصحة التي توقف عليها شروعه في عمل من الأعمال . هذه نتيجة مخالفة الوالدين ، والاستخفاف بنصائحهما . فيا ايها الأبناء ؛ اتبعوا امر والديكم ، واجتنبوا نواهيهم ، واصغوا إلى نصائحهم ، ولا تستخفوا بآرائهم تفوزوا فوزاً عظيماً

ولقد كان الأب معتبراً في شريعة اليونان والرومان ، (منذ الفي سنة) كالمالك المطلق لابنه ؛ ولذلك كان له الحقُّ ان يعاقبه بالسجن والضرب

اذا وجد أنهُ غير مستقيم ، وأنهُ لا يستحقّ التحلي باسم أسرتهِ ؛ بل كان له الحق بقتله في أحوال مخصوصة . من ذلك أن القائد الروماني مانليس (Manlius) حكم على ابنه بالاعدام ، لأنهُ حارب العدو وخالف أمر أبيهِ ، ولم يسمع له اعتصاره عليهِ ؛ وان القنصل الروماني بريتيس (Brutus) حكم على ابنه بالاعدام ، لأنهُ خان الوطن . وقد صدر الحكم من الأول باعتباره قائداً ومن الثاني باعتباره حاكماً . أما في هذا العهد ، فللأب أن يعاقب ابنه بما لا يفضي الى إتلاف عضو من أعضائهِ ؛ وله أن يرحهُ في سجن الأحداث وان يحبسهُ اذا لم يمتثل ، وله وحده أن يقوّم اعوجاجه

والقانون الفرنسي يعترف بالسلطة الأبوية في أحوال كثيرة أخرى فالوطن في الحادية والعشرين يكون حُرّاً في أعماله ؛ ولكن ليس له أن يتزوج ، قبل أن يناهز الخامسة والعشرين ، الاّ بموافقة أبيهِ . فاذا ما تجاوز هذا الحدّ ، فلا يخضع لأبيهِ بواسطة القانون الوضعي أو الشرطة ؛ بل بشعوره النفسي الذي يصور له ما بينهُ وبين أبيهِ من العلائق المحترمة ، وما عليهِ له من الحقوق المقدسة التي لا يدركها تمام الادراك إلاّ اذا صار رجلاً كاملاً

« ٤ — احترام الوالدين »

من الأبناء من يخالف والديه ولا يحترم رأيهما ، وهو مخطئ فى ذلك خطأ عظيماً . لأنه فصلاً عن استظلاله بظلهما واستمتاعه بنعمهما لا يدرك ادراكهما ، ولم يكتسب من التجارب ما اكتسبا . فالواجب اداً على الأبناء ؛ أن يطيعوا والديهم ظاهراً و باطناً ، طاعة صادرة عن شعور صحيح ، مقرونة بالمحبة والاحترام. ان احترام الوالدين أوّل شعور يبعث فى القلب الطاهر هل تعرف حقيقة الاحترام ؛ متى أقبل الليل وآستَ ضياء الكواكب المنثور عقدها فوق رأسك والتى تخرق حجاب الظلمة ، كأنها عيون ترقبك من الملأ الأعلى ؛ ومتى ساد السكون على الأرض وهدأ الكون ؛ ألا تشعر بأن رعدة أخذتك اذا فكرت فى الحياة الباقية المتعلقة بهذه الأفلاك ، المعتبر كل منها شمساً ؛ ألا ترى نفسك صغيراً فى نهاية صغرك ، متأثراً بهذه المناظر العديدة ؛ ألا تقر بقدرة الموجد لهذه العجائب ، ألا تكون على اهبة الركوع على ركبتيك وعيونك مستعبرة ، خاشعاً متصدعاً من خشية الله ؟ هذا الاحترام هو الاحترام الدينى بمعناه الأدبى

ومتى رأيت شيخاً يكسوه الوقار وتعلوه المهابة ، وعلى صدره الوسام الأحمر ، عنوان الشرف ؛ وقيل لك هذا جندىٌ جرِحَ فى حرب فى سبيل الدفاع عن بلاده ؛ او هـذا طبيب يخاطر بنفسه فى الوباء

رغبة ان ينقذ ابناء جنسهِ ؛ وعلمت ان حياة ذلك الرجل موقوفة على اسداء المبرَّات لبني الانسان ؛ ورأيته محفوفاً بصنوف التحلة والاحترام. اما تدفع بعامل نفسي الى احترامه والوقوف حتى يمر ذلك الوطي ؟ هذا الاحترام ايضاً هو (احترام ادبي) ، يبعثهُ في النفس منظر الفضيلة وقد قال الفيلسوف كانت : (Kant) « شيئان يملآن النفس احتراماً واعجاباً ، منظر السماء ذات البروج ، والحس الأدبي الذي يملأ النفوس سروراً واعجاباً »

فالاحترام الواجب لوالديك ، هو الاحترام البنوي ؛ فاحملْ هذين التعويذين لأبيك وأمك . فانهما احق بمراعاة واجب الله نحوهما ، لانهما سبب الحياة ، فاكرامهما اوكدُ واوجب من اكرام ذلك الجندي ودلك الطبيب ، اذ صحيا انفسهما اكثر من ذلك

ان الأم التي لا تهاب المرض في العناية بولدها ، والأب الذي يشتغل طول حياتهِ محبة ان يدَّخر لأبنائهِ ما يرفه عيشهما ، لأحقُّ بالاحترام والاجلال من كل فرد سواه ، ولو كان جاهلاً ؛ لأن قيمتهُ اراءك ليست مرتبطة بالعلم ، ولكنها مرتبطة بالعناية العظيمة التي شملك بها

ان الأبناء الذين يقابلون — بعد ينارهم — آباءهم الشيوخ ، الذين ربوهم وابلغوهم الى هذا الحد ، بالاساءة والاستكبار ؛ هم الأبناء اللؤماء الجبناء الذين يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون

اما الأبناء الفضلاء ؛ فانهم وان علت اقدارهم وارتفع شأنهم لا يخجلون من وكرهم الأول الذى درجوا منهُ ؛ بل يكون قاعدة فخرهم وحجّة نبوغهم ؛ يعودون الى والديهم يحملون اكاليل السرف الأسنى التى حصلوا عليها فيصبح ذلك العشّ عامراً بالفضل ، وقد خلت منهُ القصور الشاهقات

« ٥ -- الاعتراف بجميل الوالدين »

اذا دعاك جارك للتحوال فى مزرعته واهدى اليك من ثمارها ؛ وجب ان تشكر له حسن صنعــه . واذ اعتاد ان يتحفك بالهدايا ؛ وجب ان تعترف له بالجميل ؛ وان تعتبره ذا حقٍّ عليك ، وان توجب على نفسك اداء مطالبه ، وان تخدمهُ ولو بمنع رفاقك عن رمى اشجاره بالأحجار ؛ والاّ اعتبرتَ فى نظر العقلاء منكراً للجميل . وانكار الجميل من الصفات المرذولة التى يجب على الانسان ان يتطهّر منها . نعم ؛ لأن من الواجب على المرء ان يقابل الجميل بالجميل ، وان يعتبر نفسه مديناً لمن يسدى اليهِ معروفاً

فاذا فرضنا ان حسيناً التاجر ، ليست اعماله منتظمة ، وان عليهِ ديوناً طائلة ، وانهُ اذا لم يُدرك بالمساعدة وقع فى شدَّة . . . وفرضنا ان له صديقاً اسمه (على) ، أقرضهُ الف دينار وانجاه من تلك الشدة . فالواجب على حسين فى هذه الصورة ، ليس منحصراً فى اداء الف

الدينار ؛ بل الواجب عليهِ أن يساعد رفيقه عليًّا أيضاً ، اذا صادف ما يستوجب المساعدة ؛ والاَّ كان منكراً للجميل ؛ آثماً فى نظر القانون الأدبى ، محرماً ولصًّا أمام القانون الوضعى ، اذا توقف فى اداء ذلك الدين

واذا كان من الواجب الاعتراف بالجميل ، ومجازاة الاحسان بالاحسان ؛ فأجدر بالانسان أن يقابل بالاحسان إحسان والديهِ اللذين تركا له ثمرة اقتصادهما ، وخلاصة أعمالهما فى حياتهما ؛ وان يتذكر لهما فضلهما فى تربيتهِ الجسمية والنفسية ، وارشاده الى مصاحبة الفضيلة ، ومجانبة الرذيلة ؛ وأن يلهج على الدوام بحمدهما والثناء عليهما ؛ والاّ يتأثر منهما اذا رمياه بكلمة قاسية . وليت شعرى ، ما مقدار هذه الكلمة فى جانب هذه الفواضل الجزيلة ، التى أفاضاها عليهِ فى أدوار حياته

ان الولد الذى لا يعترف بواجبات والدَيه ، ولا يدفع بشعوره الى ادائها ؛ لا يرجى منهُ خير للوطن ، ولا للهيئة الاجتماعية ؛ وهل يتصوَّر أن يكون أىّ انسان عادلاً ، أو نافعاً ، اذا لم يكن عادلاً نحو أمه وأبيهِ ؟

والطاعة ، والاحترام ، والاعتراف بالجميل ؛ كل ذلك يجب أن يكون مقروناً بالمحبة القلبية ؛ على أن هذه المحبة فطرية ، تتوقف على ارادة الانسان . لأن الولد — ان لم يشعر فى دور الطفولة بأنهُ منجذب بميل طبيعى الى ذَينك الثغرَين الباسمين ، المملوءين عطفاً وحناناً — لا ريب أن يشعر بذلك اذا شبَّ . وكلما نما ، ازداد ادراكه بمقدار

ما أولى من الاحسان ؛ حتى اذا بلغ أشدّه ، تحولت محبته لأهله شفقة على ابنائهِ ؛ فيعمل لسعادتهم ، كما كان ابواه يعملان لسعادته

« ٦ واجبات الأولاد نحو أنفسهم »

الاستاذ — ألك اخوة يا حسن ؟

التلميـذ — نعم ؛ لى أخ يناهز التاسعة عسرة ، وقـد انتظم فى سلك البحريين المتاة هذا العام . ولى أيضاً أخت سنها ستّ سنوات ، وستدخل المدرسة فى العام المقبل

الاستاذ — أتحبهما ؟

التلميـذ — نعم ؛ أحبهما حباً جماً

الاستاذ — ولم يا بنىّ ؟

التلميـذ — يا سيدى ؛ هل الاخوة يتباغضون ؟

الاستاذ — نعم ؛ فى الاخوة من يتجرّد من العواطف الشريفة ، فيكون الى الوحش أقرب منهُ الى الانسان ؛ وهل تعرف منشأ تحابّ الاخوة ؟

التلميـذ — لا أستطيع أن أشرح ذلك شرحاً وافياً ، وربما كان السبب أنهم من أسرة واحدة

الاستاذ — لعلك تريد أنهم ولدوا من أب واحد ، وأمّ واحدة ،

وانهم بذلك يشابهون فروع الشجرة الواحدة ، وان ذلك يستتبع توادّهم وائتلافهم

نعم ؛ ولكن ليس ذلك كلّ السبب ، لأن هناك رابطة قوية أخرى ؛ هى الرابطة القلبية المبنية على أنّ كلا الأخوين كجزء من دم الوالدين وهى أساس ما نشاهد من تحابّ الاخوة وتعاطفهم ؛ وهى مرجع ما يكون من تشابههم فى الوجوه والطباع

وقد تختلف ميولهم فيتنافرون ؛ لأن اتحاد الأفراد فى شعورهم نحو شىء من الأشياء يستتبع توادّهم ، والعكس بالعكس

على أن هناك داعياً آخر لتوادّ الاخوة ، وهو مراعاة احساس والديهم اللذين يحزنهما تنافر أبنائهما

التلميذ — يا سيدى ؛ عاد على شىء

الاستاذ — ما هو ؟

التلميذ — لمَ لا تكون القرابة وحدها ، كافية لاتحاد أبناء الأسرة الواحدة فى المشارب والميول ، لضرورة أن المخالطة والمعاشرة تستوجبان ذلك ؟

الاستاذ — هلا أوردت مثلاً أوضح ؟

التلميذ — اذا دخل الانسان المدرسة ، شاهد من البنين والبنات من لم يرتبط بهم قبلاً ؛ ولا يلبث قليلاً ، حتى ينجذب اليهم بمغناطيس المعاشرة ، ويرتبط بهم كل الارتباط ، فيداعبهم ويفاكههم ،

فيتعاطفون ويتزاورون . واذا كان ذلك نتيجة هذه المصاحبة الموجزة ، فما أحرى أن تكون المخالطة الدائمة ، والمعاشرة المستمرّة ، داعية لتوكيد روابط الالفة بين الاخوة

وكيف يرتبط الانسان بالأجنبى ، برابطة المحبــة ؛ ولا يرتبط بهذه الرابطة بأخيه ؟

الاستاذ — ما أقوى برهانك يا بنىّ ! وهل تحب أخاك الأكبر ، وأختك الصغرى بمقدار واحد ؟

التلميذ — كلاّ ! أنا أصغى لصوت أخى الاكبر وسنى اثنتا عشرة سنة ؛ وأفعل ما يأمرنى بهِ ، وعندى له شىء من شعور الاحترام الذى أحمله لأبى وأمى ؛ على أن ائتناسى بهِ ، اكثر من ائتناسى بوالدى . فقد أفصّ عليهِ ما أفعل وما أشاهد ، وأطلعــهُ على أحوالى ؛ وأخبره بأخبارى المدرسية . وأتملى بالبتر نصائحه المفيدة . وأنا بالنسبة لأختى الصغرى مثله بالنسبة لى . فاذا عهدت أمى الىّ أن أروضها توخيت أسباب رضائها وسرورها ، ووضعت نفسى موضع أبى العطوف ازاءها وهكذا يجب على الاخوة والاخوات أن يتآلفوا ويتعاطفوا ، ويتعاونوا على حسب استعدادهم وأعمارهم . فالكبار يعطفون على الصغار ، ويعاملونهم بالشفقة والرحمة ، ويتولون تربيتهم وتهذيبهم بعد ممات والديهم ؛ وعلى الصغار أن يقابلوا ذلك بالشكر والمحبة والاحترام . وهل فى الكبار من يختص بالرآسة بعد أبيه ، ويستأثر بالثروة يا سيدى ؟

الاستاذ — نعم يا بنيَّ ؛ ولكن ذلك ظلم مبين . والواجب على الأب أن يوزّع على بنيه ثروته بالعدل ، سواء كانت موروثة أو مكتسبة بجدّه وعمله . والواجب على دعاة المساواة بين الناس فى المجتمع الانسانى ، أن يطلبوا تساوى افراد الأسرة

يجب على كبير الأسرة أن يسهر على صغارها ، ويحميهم من الأخطار المحدقة بهم ، ويسعى بالاجمال لسعادتهم فى الحال والاستقبال . وهناك عبارة تتضمن معانى ستى مرتبطة بما رددته على سمعك ، لرجل لبث فى السجن سنينَ عديدة وهو برىء . وقد عرَّفه سجنه قيمة الاسرة التى حرمها : « نحن أبناء أب واحد ، وأمّ واحدة ، وقد اتحدنا فى الدم ، وتشابهنا فى كثير من العادات ، فلم لا نتآلف ونتعاطف : » كن كريماً فى علائقك الأدبية ؛ واذا اقترف أحدهم ذنباً ، فقابله بالصفح والعطف ؛ وما أحرى أن تكون شفقتك على اخوتك ، أوفر من شفقتك على الأجنبى . ان مخالطتك اخوتك لا تنافى ما يجب عليك من مراعاة الآداب معهم . فواظب على تعزيتهم وتسليتهم فى أحزانهم ، وأحسن معاملتهم ان الذين لا يعاملون اخوتهم معاملة حسنة ، بالعطف والرحمة والحنان ، اولئك هم الخاسرون أعمالاً

« ٧ — واجبات الأطفال فى المدرسة »

ليس فى وسع الآباء أن يتعهدوا أبناءهم بالتربية العقلية الى أن

يكونوا رجالاً عاملين فى مجال الحياة ؛ ولذلك يدخلونهم المدرسة . وما هى المدرسة ؟

أهى المحلّ المقدّس الذى يستفيد الانسان فيهِ ما يرقيهِ ؟ أهى محلّ تعليم القراءة ، والكتابة ، والحساب ونحو ذلك ؟ نعم ؛ ولكن يجب تصويرها بأنها مطلع شمس الفضيلة ، ومشرق نور العرفان ، والمعهد العظيم الذى يعتبر المنزل رُكناً من أركانهِ ؛ والذى تشرف فيه عناية المربّين على الناشئين ، اسراف عناية آبائهم وأمهاتهم المربيين الأوّلين. هى المعهد الذى يعهد الأب فيهِ الى المعلم فى تربية ابنه وتهذيبهِ على قاعدة أنهُ نائب عنهُ ؛ مما يجعل للابناء على المعلمين حقوقاً محترمة ، ويجعل لهؤلاء على الأبناء حقوق الآباء المقدسة

هى المعهد الذى يجتمع فيهِ الناشئون أشرف اجتماع ؛ فيمثلون الاخوة . تشملهم دار واحدة ، كأسرة واحدة

ومن أخصّ واجبات المدرسة ، ان تهيئ البنين لأن يكون من رجال الغد الفضلاء الذين لا يجهلون ما يجب عليهم نحو أوطانهم . لأن المعلم نائب عن الأب فى تربية عواطف الشرف فى الطفل ، نائبه فى العدل ، نائبه فى الحرية

وليس من المعقول أن تتكل المدرسة على التربية المنزلية ، أو تهمل أن تلقى الدروس التهذيبية على التلاميذ الذين سيسند اليهم فى الغد جلائل الأعمال

وعلى المعلم أن يراعي استعداد التلاميذ، وأخلاقهم وميولهم؛ وأن يعاملهم معاملة حسنة على قاعدة العدل والمساواة؛ وأن يتذكر على الدوام انهم ودائع الآباء، وان الودائع جديرة بالصيانة، خليقة بالاحتفاظ. وعليه أن يرفق بهم، وان يلحظ أن تقرير السلطة الأبوية، مبنيٌّ على وجوب استعمالها بالحكمة والاعتدال

فاذا كان للمعلمين من السلطة ما للآباء. باعتبار انهم وكلاء، فالواجب عليهم أن يتصرَّفوا فيها تصرُّفاً محموداً

وعلى المعلم ان يجمع الى التربية العلمية، التربية الاخلاقية؛ وان يعتقد أن الاقتصار على الأولى، ليس كل الواجب

نعم؛ عليه ان يغرس فى نفوسهم المبادئ السريفه من حب الوطن واحترامه، وحب الأسرة واحترامها، ونحو ذلك مما يحقق رغائب آبائهم الذين وكلوا اليه أمر تربيتهم

ان العلم أقوى مربٍّ للتنبية الوطنية فاذا راعى السادة المعلمون هذه المبادئ القوية، فلا ريب ان تصل مصر الى ما ترمى اليه فى المستقبل القريب

وليس على التلاميذ للمعلم واجب الطاعة فقط؛ بل عليهم ان يحترموه ويخلصوا له، احترامهم واخلاصهم لآبائهم

وليت شعرى أيها التلاميذ، مَن أحقُّ بالاحترام والاخلاص من رجل وقف حياته على تهذيبكم، واعدادكم للدخول فى مصافّ الرجال؟

مَن أولى بالمحبة من ذلك الرجل الذى يكاشفكم بأسرار الحياة ، فتأمنوا مواقع الزلل — من المتعسر ان يتعلم الانسان بلا مدرسة — فما أشقى امرأ مرَّت عليه دوائر السنين ، ولم يسترشد بمعلم ؛ فهو فى الاقامة غريب ، وفى الاسفار ضال ؛ يدفعه جهله الى الاستفهام عن الطريق ، ويصعهُ موضع الاستخفاف والازدراء . واذا اقتصتهُ الحال مكاتبة أهله البعيدين عنهُ ، استعان بأحد المتعلمين

والخلاصة ، ان الرجل الواجب احترامه احترام الآباء هو المعلم . فالمعلم أب ثان

وعلى الأمة أيضاً أن تلحظ ما يقوم بهِ المعلمون من تقوية مدارك الناشئين وتهذيب نفوسهم ؛ فتحترمهم وتؤدى لهم حقوقهم

ولا تكونوا أيها الأبناء كالحمى الذين ينكرون فضل المعلمين ، ويعصون أوامرهم ؛ أو الكسالى الذين يستمرئون البلادة ، ولا يبالون ما ينالهم من العقاب الخالى ؛ على ان عقابهم الدائم جهلهم المضل

ألا وان السنوات الأربع التى تقضيها أيهـا التلميذ فى التعليم الأدبى ، لا تكفى لاعدادك للعمل فى دائرة الحياة . والواجب أن تقضى الثلاث العشرة المقبلة فى تعلم صناعة ، أو مزاولة تجارة ، أو نحو ذلك

واذا لم تستفد من زمنك فى المدرسة ، فستكبر وتمق مدة عمرك غريقاً فى بحر الجهالة

واذا كانت المدرسة كالأسرة ، فما أوجب أن تعامل رفقاءك التلاميذ معاملة الاخوة . فلئن لم تربطك بهم رابطة القرابة ، فان بينك وبينهم من روابط الجنسية والوطنية والمعاسرة ، ما يستوجب ذلك

وما أجدر أن تلازم الآداب من الصدق ، ولين الجانب ، والعدل والإباء ، وتجانب النقائص ، من الكذب والحسد ، والعداء وهيج الخواطر

ومن الواجب أن تتقن عملك ، وتقبل على دروسك كل الاقبال وان تزاول الألعاب الرياضية عقب الفراغ من أعمالك المدرسية ، لما فيها من تجديد النشاط ، وتقوية العضلات . واذا اعتدى أحدكم على آخر ، فاصلحوا بينهما بالعدل ؛ واحرصوا على توكيد الروابط وتوثيق العلائق « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

« ٨ - - الخدم »

تشاهد أيها الطفل ، فى مجموع الأسرة أفراداً غير أبيك وأمك ، واخوتك واخواتك . هؤلاء هم الخدم الذين يستخدمهم الأبوان لمساعدة الأم فى التدبير المنزلى ، أو الأب فى أعماله الخارجية المتنوعة

وكانت هذه الأعمال فى سالف الزمن (فى دولتى الرومان واليونان) من أعمال الأرقاء الذين كانوا يُملكون بالشراء . وكان من لوازم ذلك أن يكون أبناؤهم مُلكاً لسادتهم الذين كانوا يرأفون بهم أو يقسون

عليهم بحسب غرائزهم . ولذلك قيل ان رومانيًّا من ذوى الجاه ، كان يقوت نوعاً من السمك بجثث العبيد عند بلوغهم سنّ الشيخوخة ، أو عند مرضهم وعدم الانتفاع بهم . ولكن ظهور الدين المسيحى فى تلك البلاد أُلغِيَتْ العبودية ، أو حفت وطأتها . وكانت فى المستعمرات الفرنسية الى أن ألغاها قوانين الثورة الكبرى . وقد اسدرك أحد نوّاب الأمة ، عند المناقشة فى هذه المسئلة أن مُلاك الأراضى بالمستعمرات ، فقدوا كل عمالهم ، وان ثروتهم اسرفت على الضياع . فأجابه عضو آخر :

« ان ضياع المستعمرات بأسرها ، خير من بقاء هذا المبدأ »

أما فى هذا العصر ، فقد حرم بيع الرقيق ، وهو مبدأ الامم المتمدينة ؛ وفى مقدّمتهنّ مصر التى من مبادئها اعتبار كل من وطئ ارضها حرا ، والاستعداد لحمايته بقوتها وفضائلها

فليس فى الوقت الحاضر من يتسه أولئك العبيد . ذلك لأن الخدم ، انما يخدمون من يريدون بارادتهم ، ويبقون أو ينفصلون بحسب رغبتهم ؛ فهم يشابهون العمال الذين يعملون فى احد المعامل بأجر معلوم . مع التمتع بحريتهم ، وعدم مطاوعة مخدوميهم ، فيما يخرج عن دائرة الخدمة

والخدَم هم الذين وضعوا انفسهم تحت سلطة مخدوميهم بارادتهم فكأنهم تعاقدوا معهم ، على أن يكون الأجر من جانب المخدَمين ؛

والطاعة والاخلاص والاحترام ، من جانبهم

وحينئذٍ ؛ يجب عليهم ان يطيعوهم ، وأن يذكروا ان اتصالهم بالبيوت ، لا ينحصر فى استحقاق اجورهم ؛ بل يجعل لهم فيها مراكز مخصوصة . فيكون لهم ما لها ، وعليهم ما عليها . وذلك يستوجب ان يتحدوا مع مخدوميهم فى الشعور ؛ وان يخلصوا لهم اخلاصهم لآبائهم ، وبذلك ترتفع قيمتهم فى نظر معاصريهم . وفى كل عام يمنح مجمع العلماء الفرنسى ، جوائز الفضيلة لمن يستحقونها من الخدم وغيرهم

واليك تاريخ خادمة أمينة ، منحها ذلك المجمع جائزة الفضيلة فى سنة ١٨٣٧

كان لرجل خيّاط ابنة اسمها جستين ، (Justine) اضطرّت وهى فى سن العشرين الى خدمة سيدة فى مدينة فرساى ؛ وكان لهذه السيدة بنت

فانصمت جستين اليهما وتولين جميعاً العناية بسأمها ؛ وبعد قليل اضطرها المرض الى أن تسافر مع امها الى باريس ، فتبعتهما جستين ، فسكنّ غرفة تناسب إعسارهنّ ، واشتغلنَ جميعاً بالتطريز

وكانت جستين تلاحظ ما كانتا فيهِ من العزّ والمجد ، وما آل اليهِ امرهما من العسر والشدة ؛ فتنبعث بعواطف شريفة الى الاحتفاء بهما وتدبير شؤونهما ؛ كما كانت تعطيهما ما تكسبه بعد اشتغالها عند مطرز آخر راد فى أجرها . وما زالت مواظبة على العناية بهمـا ،

والاعتصام بحبل ولائهما ، وهى تشعر أن سعادتها فى ارتياحهما ، ولو أفضى الى مواصلة ليلها فى العمل بنهارها . حتى لقد أعرضت عما عُرض لها من العمل المفيد ، والزوج السعيد ؛ مما دفع السيدة الى ان تحبب اليها قبول هذا وذاك . نعم ؛ أعرضت حستين ، وأعلنت لسيدتها ان حياتها مرتبطة بحياتهما ؛ وان حظها متعلق بحظهما . وان من الواجب عليها ، ان تقاسمهما ما يعانيان من متاعب الحياة ؛ الى غير ذلك مما متّل اخلاصها أجمل تمثيل . وفى سنة ١٨١٦ اعترى سيدتهـا داء عياء ، لزمها ستة أشهر ، عانت فيها ما عانت من الآلام ؛ ومع ذلك لم ينطفئ شعور حستين الشريف ؛ بل كانت تعمل فى النهار ابتغاء ان تكسب ما يساعدها على مواساة سيدتها . وتتولى فى الليل رعايتها ، على نحو ما يشاء الحب والإخلاص . واستمرت على ذلك الى ان توفيت تلك السيدة ، فتولت رعاية بنتهـا ، وقامت بجميع حاجاتها . هذا الاحساس الشريف ، بعث بالسيدة فى حياتها ، الى ان تذيع أمر هذه الخادمة ، وتعترف بفضلها ، ممـا لفت نظر المجمع العلمى اليها ، ودفعهُ الى اجارتها . واذا كان على الخدم واجبات للأولاد ، فان على هؤلاء أيضاً لهم واجبات . فلا يجوز للابناء ان يتصوَّروا ان الخدم أحط منهم ، أو ان يستعبدوهم ؛ لأنهم وضعوا أنفسهم للخدمة لا للاسترقاق ؛ وعليهم أيضاً ألاّ يخالطوهم الاّ بقدر الحاجة ، لئلا تسرى طباعهم اليهم

« ٩ — الحيوان »

تشترك مع الانسان فى هذه الحياة مخلوقات أصغر منهُ شأناً ؛ ولكنَّ لها مراكز عظيمة فى المنازل والمزارع : وهى أنواع الحيوان ، واكثرها اختلاطاً بهِ الكلب والهر اللذان يلازمان الأسرة ؛ فيكادان يعدَّان منها . وقد اعتاد الأبناء أن يعذبوا الحيوان ، وهى رذيلة من الرذائل ، لما فيها من الظلم ، وتدريب الحيوان على الايذاء لأن الهر الذى يستفزّه الطفل ، ربما ضربه ، فقأ عينيهِ ؛ والكلب الذى يهيجهُ ، ربما أصبح عقوراً

واذا كان لنا أن ننتفع بالحيوان ، فليس لنا أن نعذبهُ ، لنا أن نستعمل الثيران فى الحرث ، والخيل والبغال والحمير للركوب والزينة وهلم جرًّا ؛ وليس لنا غير ذلك

من الصعب أن نميت الحيوان ؛ ولكن اذا كان ذلك داعياً لخير ، جاز كما جاز ذبح الخروف لوقاية آكليه من الموت ؛ لأنهم أرقى منهُ فى هذا الكون . وذلك لا ينافى ما يجب من الاشفاق عليها ، والعناية بشأنها ؛ لأنها وان كانت مخلوقات أصغر شأناً من الانسان الكامل ، فليست أصغر من الانسان الفاسق . وهو ما أجاب بهِ الفيلسوف لافونتين ، زعماء ديكارت — فيلسوف القرن السابع عشر — الذى كان يعتبر الحيوان آلات مجردة من الاحساس

والقانون المصرى يحمى انواع الحيوان ، ولا يعتبرها مجرد آلات ، بدليل انهُ يحظر على الفلاّح ان يقسو على دوابهِ

والخلاصة ان للشخص ان يتصرف فى حيوانه ، ولكن ليس له ان يعذّبهُ ، أو يعذب غيره مما لا علاقة له بهِ ؛ ولأى فرد الحق فى ان يلفت نظر السرطة ، اذا وقعت بمرأى منهُ قسوة من احد الافراد على الحيوان

من الرذائل ان يهدم الصبيان اعشاش الطيور ، أو يكسروا بيضها ؛ وليس سبب ذلك ان الطيور لا تؤذينا — ومن اللائق الاّ تؤذيها بل لانها تاكل كثيراً من الحسرات الضارة ايضاً

فى انجلترا ، امر جاك التانى ان تحمع العصافير ، ووضع لذلك الجوائز ؛ فحلت الجزيرة منها فى زمن قريب . فكثرت الحشرات ، وترتب على ذلك تلف الزّروع . فاضطرت الحكومة الى الغاء هذا المبدأ واستعصمت الجمهور الى جمع العصافير ، فكانوا يشترونها بأثمان عالية

حكى ان فيكتور هوجو الشاعر الفرنسى العظيم ، رأى ضفدعة قبيحة المنظر ، مغطّاة بالأوساخ ، تستنشق الهواء ذات ليلة على قارعة الطريق ؛ ورأى اربعة تلاميذ يطاردونها ويؤذونها ، ويحاولون قتلها . فنطق بهذه الجملة المؤثرة : « ما أقسى الانسان طفلاً »

« ١٠ - روح الأسرة »

أفضنا الكلام فى موضوع الأُسرة ، وأننّا ما يتعلّق بالأب والأم ، والأولاد والخدم ، وسائر من يرتبطون بالطفل فى المنزل والمدرسه

ومن الواجب أن نشرح ما يتعلق بالأبوَين الأبعدَين وهما الجدّ والجدّة ؛ من وجوب احترامهما ، والخضوع لهما ، ووضعهما موضع الأبوَين الأقربَين ، ومعاملتهما بالشفقة والرأفة المقرونه بالاحترام لسيحوختهما وضعفهما

ومن الواجب اعتبار العمّ والعمه ، بمنزله الأب والأمّ ، وابناء وبنات العمّ والاصهار ، بمثابة الاخوة والاخوات . لأن اسم الأُسرة يتناول هؤلاء ، واحترام مدلول هذا الاسم من الاحساس الطاهر . وطالما نعت تذكّره الابناء الى احتناب المساوئ ، خشيه أن يدنّسوه ؛ لأنهُ يخصّهم ولا يتناول غيرهم . فشرف اسم البيت ، يشابه الوديعه التى يجب على الابناء صيانتها ؛ كما تركها الآباء مصونة

ومن الواجب على الانسان ، أن يراعى ما بينهُ وبين هؤلاء الافراد من الروابط الجديرة بالأحترام ؛ وأن يعتبر أفراد الأُسرة ، أمثال فروع الشجرة التى تتعاون على حياة المجموع — وان مال كل فرع منها الى جهة من الجهات — ؛ وأن يعتقد كل الاعتقاد ان السعادة فى الاتحاد ، وان التفرّق مدعاة للضعف والانحلال ؛ وأن

يتذكر ما قاله الحكيم فرنكلين : « يجب على الاخوة أن يتعاونوا ويتناصروا » . وقد حُكي أن تجار البقول كانوا يمرّون بجمالهم وعليها بضائع متنوعة ، فاشترى أمرؤ فأسًا من هؤلاء التجار بثمن غال ، لعدم وجود مثلها لديهِ . فاستعارها أحد اخوته ، فأبى ؛ فاستعارها الثانى فأبى أيضًا ؛ فاستعارها الثالث ، وتوسَّل اليــهِ بما بينهما من المحبة ؛ فأبى أيضًا - مما دفع اخوتهُ الى سراء أمتالها - وبينا هو يقطع حشبًا على حافّة نهر ، اذ سقط الفأس فى النهر ولم يعثر عليها ، فأقبل على أحد اخوته يستعير (فأسه) فذكّره بإبائهِ وأعرض عنهُ . فأقبل على أخ آخر ، فنبّههُ أيضًا الى إبائه . واسع ذلك بهذه الحمله « لئن أبيت أن تعيرنى فأسك قبلا فانى أريد أن اكون أحس منك مبدأ » فحمل كلّ الحمل ، ولم يأخذ الفأس وانطلق يرحو أخًا آخر ، وعلائم الكدر باديه فى وجهه ، فاشفق عليهِ ؛ وأبلغه ان فأسه تكفيهما . فأخذ يبكي ويعانقهُ ويقول : « أخى ان مروءتك عظيمه ، وانك لسليم الطويّة ، لأنك نسيت اساءتى ؛ فأنت أخى حقًا ، ولك أن تركن الىّ » فأجابه أخوه : نعم أنا أُحبّك ، ومن الواجب أن نحبّ اخوتنا الآخرين ، لأنا جميعًا من دم واحد »

فمحبة الاسرة يجب أن تكون أول سعور لك بعد المحبة الأبوية ؛ فهى التى تربى فيك قوة الاخلاص للوطن الذى لا يخرج عن كونهِ أسرة كبيرة . وما أجدرنا أن نسمع ماقاله المسيو برسو (Mr. Bersot)

أحد الرجال الذين أحبّوا التسبابة الفرنسية ، الحليق أن يُكتب أسمهُ في صدر كل كتاب تربيه ، في محاضرة بين ولد وجَدّه :

الجدّ – ما الذى خدش وجهك يا بنيَّ ؟

الولد – الهرّ يا جَدّى

الجدّ – هل للهرّ يدان ؟ يجب أن تعترف

الولد – تصارعتُ مع آخر

الجدّ – ولمَ دلك . هل اغتصب منك شيئاً ؟

الولد – كلاّ ! ولكنهُ ستّ والدى ، فألقيتهُ على الأرض ، واعترف بكذبه

الجدّ – انك لشجاع . ولكن ، ألا يوجد غير أبيك أحد تدافع عنهُ ؟

الولد – بلى ! أمّى ، وجَدَّتى وأنت ، وأخى الأكبر

الجدّ – اذاً أنت تُحبّنا

الولد – نعم ! لأنكم آبائى

الجدّ – اذن ، سررت لأنى عُيّنت عمدة

الولد – نعم ، سررت وزدت فخراً ، وفى ذلك اليوم ، حفظت دروسى أىّ حفظ ، وأدّيت واجباتى خير اداء

الجدّ – هل اعتقدت أنك عُيّنت عمدة ؟

الولد – نعم

الجدّ – ما الذى خامرك ، حين عُيّن أحوك ملاحظاً ؟

الولد – فرحت وكنت أودّ أن ألبس شارات السرور والفخار

الجدّ – اذن ، أنت عمدة وضابط . ولمَ كطرتك حزينًا عند مرض أمّك ؟

الولد – نعم تألمت تألمًا شديداً ، لأنى تخيّلت أنها ستموت مثل جارتنا التى نحترمها !

الجدّ – انك لولد صالح ، وأخٌ مخلص . انى أراك تروض أُختك ، بدلاً من أن تلعب مع رفاقك ؛ وتلاعبها فتجد منك أخًا محموداً . ولكن ، يخيّل لى أنك تحب سحرة الكَرَر

الولد – سحرة الكَرَر سحرتنا ، واذا صعدت عليها أتخيل أنى فى منزلنا

الجدّ – أجل أنك تسرّ بالمعيشة معنا ، اكثر من معيشتك مع حيرانك ، وانك لاترى نفسك فى صحة الا معنا

الولد – نعم

الجدّ – يا بُنيّ ؛ اذا عاش الناس معًا وتحابّوا ، وسعروا بالسعادة حينما ينالهم خير ، و بالتعاسه حينما يُصيبهم شرّ ، وأصبح كلُّ فرد منهم مستعدًا لمساعدة عند الحاجه ، والمواساة عند حصول الأذى ، محبًّا لأن يناله الألم ولا ينالهم ، منجداً معهم قلبًا وقالبًا . فهذه هى الأسرة

إنَّ العلائقَ لا تكونُ وثيقةً فى الأقربينَ وسائرِ الأحياء
إلاَّ بتعظيم الصّغيرِ كبيرَهُ وعنايةِ الآباء بالأبناء

الجزء الثانى

الباب الأول

الهيئة الاجتماعية

الفصل الأول — فضل الجمعيات

التلميذ — يا سيدى الأستاذ ! طالما سمعت ألفاظاً لم أفقه لها معنًى ؛ وما كنت أكلّف نفسى مشقه البحث فيها ، لاعتقادى أن الصغير لا يمكن أن يحارى الكبير فى إدراكه . أما وقد أصبحت من تلاميذ السنة الرابعه ، وكثيراً ما حدثتمونا عن « الهيئه الاجتماعية » ، التى يجب ان نكون أعضاء نافعين فيها ، « والنظام الاجتماعى » ، الذى ينبغى أن نحترمه ، « والرقىّ الاجتماعى » الذى يلزم ان نضرب فيه بسهم — فقل لى بحقك يا سيدى الأستاذ ، ما معنى هذه الألفاظ التى أرى من الواجب علىّ أن أقف على كُنهها ، لأكون على بيّنة من أمرها ؟

الاستاذ – أنت تعلم يا بنيّ، ان « الأسرة » تتألف عادة من أب وأمّ ، واخوة وأخوات ، وجدٍ وجدة الخ . . وكلهم يسعون وراء غرض واحد ، هو سعادتها ؛ لذلك كان لكل فرد منهم نصيب خاص فى العمل : فنى بلاد الريف ، يختص بعضهم بحرث الأرض وبذرها ، وحصد زرعها ؛ وينفرد الآخرون بتعهد الماشية ، ورعى الأغنام وما أشبه ذلك ؛ وغيرهم بحلب الألبان وصنع الزُّبد ، وتربيـة الطيور وهكذا (تحت نظر الأبوَين اللذين هما ربّا المنزل)

ومجموع هؤلاء الأفراد الذين تتألف منهم الأسرة ، يسمى « هيئة اجتماعية » أو « جمعيه » . والقاعدة التى يسير عليها أولئك الأفراد من حيث تقسيم الأعمال ، ومزاولتها فى أوقات معينة ، وعدم مزاحمة بعضهم بعضاً فى العمل ، يسمى « بالنظام الاجتماعى » ؛ والتحسينات التى يمكن ادخالها على الادارة المنزلية ، من نحو توزيع الأعمال ، ومعاونة العمال ، والاجتهاد فى انماء الثروة ، يسمى « بالرقى الاجتماعى » . فمعنى اجتماعى اذاً ، هو كل ما كان متعلقاً بالهيئة الاجتماعية.

التلميـذ – اذاً ، فالأسرة هى عبارة عن « جمعية » !

الأستاذ – نعم ؛ وهى أول الجمعيات ونموذج الباقى . فبماذا اذاً تعبّر عن لفظة « جمعية » ، اذا سئلت عن ذلك ؟

التلميذ – الجمعية حينئذٍ ، هى مجموع جملة أشخاص يعيشون معاً ، ويشتغلون كلٌّ من جهة لغرض مخصوص . أليس كذلك ؟

الاستاذ – حسن ! ولكنك سوف تضطرّ الى تغيير هذا التعبير ، اذا ما علمت أن الجمعيات على أنواع كثيرة ، وأن الأسرة ليست إلاّ احدى تلك الجمعيات

التلميذ – انى لا أظن ذلك يا أستاذى ؛ لأنه اذا قيل مثلاً : ان الانسان يجب عليه أن يكون عصواً نافعاً فى الهيئة الاجتماعية ؛ فلا يمكن أن يفهم من ذلك القول ، أن الأسرة هى المقصودة بهِ

الاستاذ – لقد قلت صواباً ، فلنستمر فى بحثنا اذاً

تعلم يا ولدى العزيز ، ان هذه « القرية » تحتوى على كثير من الأُسر ، يعيش كل منها على انفراده ، ويشتغل أفرادها فى ما يوافق ميولهم ؛ وكلهم ما بين زارع وصانع ، وتاجر ومالك ، وغنيّ وفقير . تجمعهم – وان فرقتهم أعمالهم الخصوصية – المنفعة العمومية

التلميذ – وما معنى ذلك يا سيدى الأستاذ

الاستاد – لنفرض أن الحال اقتضت بناء دار للبلديه ، أو انشاء فنطرة ، أو فتح طريق عمومى ، أو ما أشبه ذلك . فمن ذا الذى يقوم بما يلزم من النفقات ، هل يكلّف بهِ شخص مُعيّن؟

التلميـذ – كلاّ ! بل يكلّف بهِ الجمهور !

الاستاذ – نعم ؛ وهذا معناه اجتماع الأهالى على عمل ما ، يعود على الجميع بالفائدة أو المنفعة ؛ وكلّهم وان افترقوا وراء منافعهم الذاتية ، يجتمعون اذا ما دعتهم الضرورة الى منفعةٍ عمومية . اذ لو اقتصر كل

فرد منهم على مباسرة شؤون اسرته دون غيرها ، لوقفت حركة الأعمال

لذلك حرت العادة فى الممالك المتمدينه ، أن يجتمع أهالى القريه فى أيام معلومات ، لينتخبوا من بينهم أشخاصاً ذوى مقدرة وخبرة بادارة الشؤون العمومية . وهذه الجمعيـة التى تتشكل بهذه الصورة على مقتضى اللوائح والقوانين ، تسمى (مجلساً بلدياً) يعين من بين أعضائه شخص يعهد اليهِ بادارة حركة الأعمال العموميه ، ويقال له (رئيس المجلس) . وليس من الضرورى يا بنى أن يعيش أعضاء هذا المجلس فى مكان واحد ، أو أن يكون بينهم روابط شخصيه ؛ بل يكفى أن يكون من الممكن اجتماعهم لتقرير ما يكون لازماً للمنافع العمومية وقت الاحتياج ، وهذا هو نوع آخر من الجمعيات

التلميـذ – ثم ماذا أيضاً ؟

الاستاذ – كثير يا بنى والمديريه مثلاً – وقد تحتوى على خمسه بلدان – لهـا مجتمع خاص يقال له (مجلس المديرية) ، وجميع المديريات لها مجتمع آخر يدعى (الجمعيه العمومية) وهكذا .... فكلّ جماعـة من الناس يتبادلون المنافع والأعمال ، يمكن أن يطلق عليهم (هيئة اجتماعيه) ، إلاّ أن هذا الاسم قد امتاز به على الخصوص شيئانِ خطيرانِ ، هما : (الوطن والجنس البشرى) ، لذلك يقال : « كن نافعاً فى الهيئة الاجتماعية » أى « أخدم بلدك وشرف بنى الانسان »

التلميذ – لقد فهمت ياسيدى أن الوطن انما هو (هيئه اجتماعية) ،

مؤلفه من جميع أسرات القرى والمدن التى تقطنها أمةٌ واحدة مشتركة المنافع والأعمال ؛ يشكّل لادارتها مجالس تختصُّ بانشاء الطرقات العمومية ، والمدارس والجسور وتعبئـة الجيوش ، وتعيين الموظفين والمستخدمين والقضاء وغير ذلك ، على حساب جميع السكان ؛ إذ أن تلك الأمور لم تكن إلاّ لمنفعة الجميع على السواء . إلاّ أنى لم أفهم مع ذلك ما معنى الانسانيه ، وما دخلها فى الهيئة الاجتماعيه ، ولا ما هى علاقتى بساكن بلاد اليابان أو الصين مثلا ، وأىّ رابطه بينى وبين زنوج أمريكا . وكيف يمكن أن أشترك مع هؤلاء فى فائدة أو أتبادل معهم منفعة ؟

الاستاذ — هذا ما كنت أنتظر أن تسألنيه يا بنى . اعلم وفّقك الله أن المرافق المتبادلة بين الأمم ، ليست هى التى تربط أعضاء الهيئه الاجتماعيه بعضهم ببعض ، ولا المنفعه هى التى تربط أفراد الأسرة الواحدة كذلك ؛ بل الذى يربط بعضهم ببعض ، انمـا هى المحبة والاخلاص وسائر العواطف

لذلك ترى أبناء البلد الواحد متحابّين ، لارتباطهم بمحبه بلدهم الذى ولدوا ونشأوا فيهِ ، وتربوا تحت سمائهِ ، وتغذوا من نباتهِ ومائهِ ؛ وكلهم يفتخرون بسعادتهِ ، ويسعون فى رفاهتهِ ؛ لاعتقادهم أن هناك مصلحة هى أكبر فائدة وأكثر أهمية من كل ما سواها : ألا وهى (مصلحة الوطن) الذى عن أسرة كبيرة كلّنا أبناؤها ، وكلنا مدينون

لها بالمحبة والاخلاص اللذين من أجلهما ترى عين من حكم عليه بالنفى – مثلاً – تذرف دمعها السخين ؛ وترى الرجال ذوى الشعور الحى ، والعواطف الشريفة ، يُضحون النفس والنفيس فى خدمة الوطن ، ويضحُّون حياتهم فى سبيل الدفاع عنهُ

ولربَّ قائلٍ يقول : ان الشعور الذى يربط أبناء البلد الواحد ، لا يمكن أن يوجد بين أشخاص من بلدان مختلفة ، فالجواب :

الناسُ من حهةِ التصويرِ اكفاءٌ أبوهم آدمٌ ، والأُمُّ حواء

واذا كان الجميع من أصل واحد ، فكيف لا يعتبرون أنفسهم اخوة ؛ فيتعاونون على الخير وجلب المنافع ، ويتحدون فى الدفاع عن أنفسهم أمام الأخطار والحوادث التى يتلاشى عندها كلُّ فارق ، أو اختلاف أو تمييز بين سعوب العالم ؟

مثال ذلك : اذا قصدك فقير يسألك احساناً ، أو رأيت انساناً مشرفاً على العرق ، فهل من المروءة أن تبحث عن جنسيته أو ديانته قبل أن تمدَّ له يد المساعدة ؟ كلا ! ثم كلا ! فقد يكفيك أنهُ من بنى الانسان ؛ وكل بنى الانسان يجب أن يكون لهم نصيب من شفقتك ومعونتك واحسانك

وجد عُمرُ بنُ الخطّاب ، رضى الله عنهُ ، فى طريقه يهودياً فقيراً ، يتعثَّر فى ثياب الضعف والشيخوخة ؛ فقال : « تاللهِ لقد ظلمناك يا شيخ ؛ أخذنا منك الجزية فتى ، ونسيناك شيخاً » . وأمر له بصلةٍ

من بيت مال المسلمين ما بقى من حياته

مما تقدم ، يتضح أن (الانسانيه أو الجنس البشرى) هما أسرة (كالوطن) ؛ وان كليهما ينطبق عليه اسم (هيئة اجتماعية) والشعور والأفكار والمنافع ؛ هى التى تربطنا بغيرنا من بنى الانسان ، أو بعبارة أوضح – (هى روح كل اجتماع)

« الملخص »

يسمى هيئة اجتماعيه ، اتحاد جملة أشخاص مشتركين فى الأفكار والمصلحة والشعور . والأسرة هى أوّل الهيئات الاجتماعية ، وهذا الاسم يمتاز به على الخصوص سببان هما : « الوطن والانسانية » ، أو « الجنس البشرى » اللذان يربط جميع أعضائهما الإخاء الناتج من الاتحاد فى النوع والفكر والقلب ، فالأسرة والوطن والانسانية ، (كثلاث دوائر متداخلة ، مركزها واحد)

« ٢ - الحاجة الى الاجتماع »

التلميذ – لقد فهمتُ الآن ما كان يقصده أخى الاكبر بقوله فى موضوع انشائى : « الانسان مخلوق اجتماعى » ، مثبتًا بالبرهان القوى ان الجمعية هى من أهم الأمور الصرورية لحفظ النوع البشرى ورقيّه

الاستاذ – حَسَن . وما الذى استنتجتهُ من هذه النظرية ؟

التلميذ – استنتجتُ أن الانسان يستحيل عليه أن يعيش بعيداً عن الأسرة التى هى الجمعية فى الحقيقه ، كما تبين ؛ لأنه اذا اعتزل الرجل المرأة ، واستغنى كلٌّ عن صاحبه ، كان البقاء مستحيلاً . اذ أن الرجل فى هذه الحاله يكون بلا مساعد يقوم بتدبير شؤونه الضرورية ، كتجهيز الملابس ، وتهيئه الطعام ، وما أشبه ذلك ، وتكون المرأة محرومه من يعولها ، ويأخذ بيدها ، ويدافع عنها ، وزيادة على ما تقدم ، فان النوع البشرى لا بد أن ينقرض بانقطاع التناسل

الاستاذ – نعم يا بنى ، وذلك كلهُ من الأمور البديهية ، حتى انك ترى الأمم المتوحشه نفسها تسير على هذه السنّه بحكم الطبيعه . وهو نظام إلهى يفهم منه أن الواجبات والحقوق والعواطف ، انما هى أشرف وأرقى صمام لاتحاد النوع الانسانى . واذا كانت الأسرة – وهى أول الجمعيات كما تقدم – قد تأسست بحكم الطبيعة ؛ أفهكذا كانت الحال فى غيرها ؟

التلميذ – استُ أدرى بماذا أُجيب

الاستاذ – نعم انهُ ليصعب عليك ذلك ، فأعرْنى سمعك قليلا انبئك بما لم تعلم ، لقد أتى على الانسان حين من الدهر كانت فيه الأسرة هى الجمعية الوحيدة ؛ وكان الأقدمون منذ أربعة آلاف عام ونيف ، يعيشون جماعات منفصلاً بعضها عن بعض ؛ يقضون نهارهم فى اصطياد ما به يتغذون ، ومنـــه يرتدون ؛ ثم يلجأون بالليل الى

الكهوف والمعاور فراراً من اعتداء الحيوان المفترس ، كالسَّبع والضَّبُع والنَّمِر والذِئب . وهو لم يكن فى ذلك العهد عدوًّا وحده للبشر ؛ بل كان الانسان عدوًّا الانسان أيضاً . اذا كانت كل اسرة تؤلف قبيله ليس لها من عمل سوى شن الغارة على الآخرين لتسلبهم أموالهم وأنعامهم ، وتحليهم عن أرضهم التى يسكنونها ، مستعمله فى ذلك آلات الحرب كالهراوات ، والأحجار ، والقِسِىّ ، والنُّشَّاب . وما أشبه ذلك وبالجملة كانوا يعيشون من القتل والسلب والنهب ، ولو استمرَّ الحال على هذا المنوال ، لتلاشى النوع البشرى . إلاّ أنّ الرزايا اذا توالت . فان هذه القبائل ، لكى تتمكن من صدِّ هَجَمات المغيرين والذَّبِ عن حياضها أمام خصومها ، اضطرّت ان تتحد مع غيرها ، ثم أخذت دائرة ذلك الاتحاد تتسع سيئًا فسيئًا ؛ حتى تألفت الشعوب ، وبذلك انتقلت المسئلة من « اسرة » الى « وطن »

ولما كانت الروابط الطبيعية لا تكفى وحدها لاتحاد تلك الأُمة الجديدة ، نظراً لضعف الشعور والمحبة والاخلاص بين افرادها ؛ سُنَّت قواعد خصوصيــة حدَّدت ما هو مسموح وما هو ممنوع . وهذه هى اصل الشرائع ، وأسّ « النظام الاجتماعى »

ومما قرَّره ذلك النظام ان لكل انسان الحقَّ التامّ فى التمتع بثمرة أعماله فلا منازع ولا معارض ، مهما زاد دخله عن حاجاته . بمعنى ما اذا فرضنا ان زيداً يستفيد من غلة ارضهِ مائتى اردبّ من القمح

فى كل عام ، وانهُ لايحتاج لأكثر من عشرين منها ؛ فان الباقى له ، يتصرف فيه كما يحب ويختار بلا نزاع . وهذا ما يسمونه بالملكية

إلّا ان « جان جاك روسو » ، ذلك الكاتب الفرنسى الشهير ، احد نوابغ القرن الماضى ؛ صوَّر لنا الجمعيه البشريه بأنها بيحه اتفاق حاصل بين الناس فى القرون الأُوَل ، سمَّاه (العقد الاجتماعى) ، فكأنهُ يريد ان يقول بامكان وضع نظام آخر للجمعية ، خلاف نظامها الحالى ، بمعنى انه اذا كان المالك يتصرف فى ملكه الزائد عن حاجاته الضرورية كما يشاء ، يمكن وضع قاعدة جديدة ، تقضى بأن الانسان لايملك إلّا مايفى بحاجته الضرورية للمعيشة . ولكن الرجل مخطئ فى رأيه ، واهمٌ فى زعمه ؛ لأن نظام الجمعية وسرائعها ، انما وضعها من سلف ، وهم مدفوعون بعوامل قد يجهلونها وقتئذٍ ، وكلها ضرورات حتمًا

ومما لا نزاع فيه ، ان الجمعيه من ألزم الأُمور لبقاء النوع الانسانى وتحسين حالته

ولأجل بقاء الجمعية ؛ يجب أن يعترف كل انسان بأمرَين رئيسيين ، هما : « الاحتفاظ بالأموال والاحتفاظ بالأرواح » لهذا كان من الضرورى ، ان يزول ذلك الحاجز ، الذى كان يفصل الأُسرات والقبائل والشعوب بعضها عن بعض ؛ وبزواله أصبحت جميع الأمم — بوجه التقريب — خاضعة لنظام واحد ، مما يدل دلالة واضحة ، ان ذلك النظام كان ضرورياً جداً للجميع ؛ وان القتل والسَّرِقة ،

والكذب والخيانة وما أشبهها ؛ وحدت من الأمور المحرمة عند الجميع .

هذا ما اتفق عليه العالم كافه، كما اتفقوا أيضاً على أن «الانسانية» هى جمعيـة أحرى ، يجب على الانسان أن يكون عصواً عاملاً فيها ، بصرف النظر عن جنسيته و بلده . فالأخاء العام لايمكن أن ينسينا ما يجب علينا نحو أوطاننا ؛ وما على الدين ينضمون تحت لوائه ، الاّ أن يفهموا أن الضرورة تحتم على كل الناس أن يعاونوا و يتحدوا ، وهذا ما قصت به جميع الشرائع الالهيه والوضعيه ؛ وهو معنى قول الفلاسفة ان الانسان مدنىّ بالطبع

« الملخص »

الجمعية ضروريه لبقاء النوع البشرى ورقيّه

وزمن الهمجية ، الذى كان الناس يعيشون فيه قبائل متفرقة ؛ أعقبه تقسيمها الى أمم متحدة ، أخـذ أعضاؤها يتقدمون نحو المدنية شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحوا وهم معتبرون أنفسهم اخوة لامحالة

والشرائع الأساسية للهيئة الاجتماعية، لم تكن نتيجة ذلك الاتفاق الذى كان منشؤه الاختيار؛ بل هى نتيجه محتمه لتلك الضرورات المادية والأدبية، التى لم يخلُ منها زمان ولا مكان ؛ قصت بها مصلحة الاجتماع البشرى

« ٣ – فائدة الاجتماع »

التلميذ – انه ليحيل لى يا سيدى الاستاذ ، ان الجمعيه – فصلاً عن كونها ضرورية – فانها نافعه لبنى الانسان

الاستاذ – بالتأكيد . وهل فى استطاعتك أن تخبرنى عن الفوائد الرئيسيه التى تظن أنها تنبعث عنها ، وانتدئ بالفوائد الماديه

التلميذ – من المسلّم يا سيدى الاستاذ ، أنه يوجد أعمال كثيرة يستحيل على الانسان القيام بها بمفرده ، ولا بدَّ أن يشترك فيها الكثيرون ؛ كما لو أريد بناء بيت ، أو تخطيط طريق ، أو انشاء قنطرة ، أو حفر ترعة ، أو ما شاكل ذلك مثلاً ، أضف الى ذلك أن هذه الأعمال ، قد تحتاج الى كثير من الآلات والأدوات التى يشترك فى عملها عدد ليس بالقليل من الناس . فاذا أردنا صنع فأس مثلاً ؛ وجب علينا أن نبحث عن منجم لاستخراج الحديد ؛ ثم استخلاص ذلك المعدن مما هو مختلط به من الأتربه والأحجار الصغيرة . وذلك بواسطه الذَّوبان الذى يحتاج الى حرارة عظيمة ، وهذه الحرارة تولد من الفحم الذى يستخرج من الأرض أيضاً ، والذى دون استخراجه صعوبات لا تحدّ ، وأخطار لا تعدّ . فاذا ما تم كل ذلك . وعملت السبيكة ؛ وجب أن تُصهرَ ، وتحلّل بطريقة مخصوصه ، لتكتسب الصلابه المطلوبه

الاستاذ – لقد تكلّمت يا بُنيَّ عن الحديد واستحراحه ؛ ولكنك لم تذكر شيئًا عن الاتعاب الجسيمة، التى تلزم لصُنعهِ وصَقله، وسَحذه ونشره وما يماثلها من الأمور التى لولاها لم تُفلَح أرض ، ولم تُقطع أحجار ولا خشب ، ولم تُنسج أنسجه ، ولم تُصنع مركبات أو مراكب ، ولا كان شيء على الاطلاق مما يسهل على الانسان طرق المعيشة . لم يكن من الغريب أن يتحد أهالى البلد الواحد ، أو كل البلاد على العموم ، لاقتسام تلك الأرباح الطبيعيـة التى لا تحصى ، وللافاة الأخطار التى تتهدد الجميع

فأول فائدة للجمعيه اذاً هى زيادة رفاه بنى الانسان ونعيمهم

التلميذ – نعم ؛ وأنه يُخيّل لى أن الجمعية لم تصل الى هذه النتيجه ، إلاّ لأنها حتمت على الانسان أن لا يقصر على الاشتغال بأمر نفسه ؛ بل يجب عليه أن يسعى فيما يفيد غيره . فالخبّاز مثلاً : يصنع الخبز للجميع ، لعلمه أن القصّاب يقدّم له اللحم ، والبزّال يبيعه السكر والملح ، والخائط يصنع له الملابس وهكذا

الاستاذ – انه لكذلك ، وهذا من أهم فوائد الجمعية ؛ لأن توزيع العمل يزيد فى الفائدة ، ويقلّل عناء العمال . وأنه لمن المستحيل على فرد واحد ، أو أسره واحدة ؛ أن تقوم بفلاحة الأرض ، وبذر البذار ، وحصد الزرع ، وعمل الخبز ، وذبح الماشية ، وتهيئة الطعام ، وصُنع الآلات وغير ذلك مما هى فى حاجة اليه . ولنفرض أنه من الممكن ؛ فما مقدار الوقت الذى يلزم له ؟

ولكى يقرب الى ذهنك تصوُّر مقدار الفائدة التى نجم عن تقسيم العمل – افرض أن صانعًا يريد أن يصنع بمفرده ابرة حتى تصير صالحه للعمل – فهل تظن أن ذلك يتم فى أقل من نصف يوم ؟ كلاَّ. مع أنه فى بعض المعامل الكبيرة ، ترى بعض العاملات ، يصنعن آلافًا من الإبَر فى اليوم الواحد ؛ هذه تقطع السلك وهاتيك تدقّ طرفه ، وتلك تعدّل رأسه ، وأخرى تصقله . وقس على ذلك باقى الأعمال ، فان فى تقسيمها تسهيلا للعمل ، وازديادًا للفائدة ومع ذلك ، فان هذه الفوائد المادية التى تنحصر فيها سعادة الانسان ، لا يصحُّ أن نقيسها تلك الفوائد الأدبية التى نكتسبها من الحياة فى الجمعيه . فهل لك أن تضرب لى بعض الأمثال ؟

التلميذ – نعم ، اذا عاش الانسان منفردًا ، فكيف نتعلم القراءة والكتابه والحساب ؟

الاستاذ – أحسنتَ يا بنيَّ ؛ فلقد كان الانسان لا بدَّ له من أحد أمرَين : إما أن يعيش مدَّة حياته جاهلا ، وإما أن يرجع الى ما كانت عليه أجداده فى الأزمان الغابرة ؛ أيام لا علوم ولا معارف ولا صنائع . أضف الى ما تقدَّم ، ان تلك القوانين الطبيعيه لم يكتشفها انسان بمفرده ، فكم من قرون مضت قبل أن يعرف الانسان أن الأرض تدور حول الشمس . واليست هذه هى التى تدور حول الأرض ، كما كان يظنهُ الأقدمون

التلميذ – نعم ؛ ولقد فهمتُ أيضًا يا سيدى الاستاذ ، ان صنع الآلات مثلاً ؛ يحتاج الى جمله أشخاص يعملون معًا ؛ وحينئذٍ ، لابدّ أن يكون اختراع أنواع تلك الآلات ، مما يحتاج أيضًا الى عدد وافر من العلماء والمفكّرين ، وكذلك طريقه استعمال تلك الآلات . ولو اشتغل كل انسان على انفراده ، ثم مات ولم يطلع أحداً على سرّ اكتشافه ، لصعُبَ الوصول الى الغرض المطلوب ، أو الحصول على صالحه المنشودة

الاستاذ – لقد أصبت يا بنيّ ؛ فلقد فكّر (دنس ماين) منذ مائة من السنين ونيّف ، فى أن يتخذ من البخار قوّة محرّكة ، ومع ذلك فانهم لم يوفّقوا الى ذلك ، حتى كان عهد (وات وفولتون) ، اللذين عرفا كيف يستخدمان تلك القوّة فى القواطر والمراكب

وبالجملة فان الجمعيه هى السبب أيضًا فى الفوائد الأدبيه التى لاتخفى عليك ؛ فان الرجل اذا اعتزل العالم ، أصبح متوحشًا ، فظًّا غليظ القلب ، كذلك كانت أخلاق الانسان أيام الهمجيه ، أشبه شىء بأخلاق الحيوان المفترس الذى يعيش فى الغابات والآجام . فلما عُرفت الجمعيه أصبحت الحياة أنسى وأسهل مما كانت قبلاً ؛ وأخذت الأخلاق والعادات سكلاً جديداً . فصارت الحروب التى كانت من الأمور العاديه ، نادرة الوقوع ، واكتسبت الانسانية سكلاً

جديداً معناه الاخاء ؛ كما أخذ التمدُّن كلما اتسعت دائرته يمحو سيئاً فشيئاً ما بقى من آثار الهمجيه

فمنذ مائة عام مثلاً ؛ بطل الرق ، وتقرَّر الاعتناء بجرحى الحروب ؛ وتأسَّست جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر . ولا تزال الجمعية الدستورية محتاجة الى كثير من الأمور التى سوف يتكفل بها المستقبل . وأن المصريين ليفتخرون بأنهم كانوا دائماً أنصار الانسانيه حيث كانوا أول الأمم التى أبطلت الرِقّ

أما هذا النجاح الثلاثى : (المادّى والأدبى والعقلى) فانه دَين علينا فى الحقيقة لتأنير الجمعيه ؛ وكذلك الفضائل التى تتعلق بها ؛ وهى التى يعبرون عنها بلفظ (انسانيه) أو (رقة الاخلاق)

« الملخص »

الجمعية أصل كل فائده مادية أو أدبيه للانسان ؛ وهى تسمح له بأن يزيد فى رعده ، باتحاد قوى كثير من الافراد

وتقسيم الأعمال ، يقلل عناء العمّال ، فيعملون بكل سرعة ، ما كانوا يطمعون مستحيلاً . والنجاح الفكرى أصبح مؤكداً بفضل الجمعية التى يشترك كل انسان فيما تأتيه من الاكتشافات . وأخيراً ، قد أدخلت الحياة العموميه تحسيناً على أخلاق الانسان ، وقدمته تقدماً محسوساً

« تمرين »

ما الجمعية ؟ – قارن بينهـا وبين الأسرة – ما معنى نظام اجتماعى ؟ – رقى اجتماعى ؟ – ما الجمعيات الوسيطـه بين الأسرة والوطن ؟ – لماذا كان الوطن والانسانيه من أفضل تلك الجمعيات ؟ – اتت بالبرهان ، ان الجمعيـه ضرورية لنموّ النوع الانسانى ورقيهِ – ما رمز الهمجية ؟ – كيف تكوّن الوطن ؟ – هل الجمعيـة نتيجة اتفاق ؟ – أهى من الصروريات ؟ – اذكر العوائد الماديه التى تعود على الحياة من الجمعيـه – كيف أصبح الرقىّ الفكرى ممكناً بفضل الجمعيه ؟ – ما الفوائد الأدبية التى يكتسبها الانسان من المعيشة فى الجمعيـة ؟

الفصل الثانى

« ١ – العدل فى الهيئة الاجتماعية »

الاستاذ – المتسع فى كل مكان ، ان الانسان اذا ما ارتبط بآخرين ، لا بدّ له من فاعدة لترتيب معاملته اياهم ، على حسب القانون الأدبى الذى ذكرناه فى الجزء الأول ؛ كما بحثنا فى الواجبات التى تربط بها كل جمعيـة بشرية . والآن ، نتكلم على اكبر تلك

الجمعيات وهى الانسانية ، ونذكر الواجبات التى تتعين على كل ذى علاقة بها

من المطريات الثابتة ، ان « لا اجتماع إلاَّ مع العدل » ؛ فهل لك أن تعبّر لى عن معنى العدل ؟

التلميذ – لقد سألت والدى عن ذلك يا أستاذى منذ بضعة أيام ، فقال . انهُ « إعطاء كلّ ذى حقٍّ حقهُ »

الاستاذ – لقد أصاب ؛ ولكن ، هل تعرف ما هو المقصود من ذلك ؟

التلميذ – المقصود من ذلك على ما أظن ، هو أن يدفع الانسان ما عليه من الديون ، ويردّ لكل شخص ما يكون قد أخذه منهُ ، ولا يغش رفقاءه ؛ ويجتهد فى أن يكون غير مَدينٍ لأحد بشىء ما

الاستاذ – لقد أجدت ، وان كنت لم توفِّ الموضوع حقهُ

لنفرض أن أحد القضاة حكم على أحد المجرمين بالسجن ، أو أن معلمك كافأك على حسن اجتهادك ، أو أن انساناً أحسن اليك فشكرت له فضله . أليس ذلك من ضروب العدل أيضاً ؟

التلميذ – اذاً ، العدل هو أن يقابل الانسان الحسنة بالحسنة ، والسيّئة بالسيّئة

الاستاذ – نعم ! ولكن – اذا صفعك أحد زملائك مثلاً ، فهل تقابله بمثل ذلك ؟ ان هذا وان كان من العدل حقيقة ، لا يلائم

أحوال المعيشة ، لأنك اذا اتبعت هذه السنّة ، تقضى حياتك بنزاع لا طائل تحته . فلندع تلك النظرية التى علّمكها والدك ، ولنبحث عن أخرى تكون اكبر ملاءمه للحياة . ألا تذكر قوله تعالى « خذ العفو وأمُرْ بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ؛ أو قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيهِ ، ما يحبّ لنفسه » . قل لى ، ما الذى فهمتهُ من تلك الآيه الكريمة ، وهذا الحديث الشريف ؟

التلميذ – فهمت ان الانسان يجب أن يحسن الى الناس ما استطاع ، ويتحبّب كل ما فيهِ ضررهم وأذاهم ، فلا يسرف منهم ، ولا اسىء بهم ، ولا ينمّ عليهم ؛ وبالحملة يعفو عن زلاتهم ، فلا يعاملهم بما يستحقون

الاستاذ – وكيف ذلك ؟ لعرض أن شخصاً قتل آخر ، وحكمت محكمه الجنايات عليه بالاعدام . فهل من العدل أن تسعى فى تبرئته واطلاق سراحه ؟ ان هذا ليس من العدل فى شىء ، لأن احترام المرتبه البشريه فى شخصك ، وفى شخص الآخرين ، هو القاعدة الأساسيه للعدل ، ولأنك اذا احترمت انساناً ، فلا ترضى أن تضرّه فى حياتهِ ، أو شرفه ، أو ماله ، أو أى شىء من متعلقاتهِ . ولكن اياك أن تحترم من لم يحترم نفسه ؛ فان هذا بلا شك ، أولى بالاحتقار لأن الرجل الذى يسترسل فى الغصب والشراسة ، ويتصف بالأخلاق الفاسدة ، يجنى على العدل لا محالة . ولا يمكن أن يكون الانسان عادلاً وشريفاً إلاّ اذا امتنع عن ايذاء عباد الله ، وأعطى كل ذى حق حقهُ ،

التلميذ – عفواً يا سيدى الاستاذ ! انا اذا احترمنا الشرف الانسانى ، فلا بدّ ان نلاقى كثيراً من الصعوبات ؛ والاّ فكيف يجوز لنا ان نعاقب المجرمين ؟

الاستاذ – اظنُّك لم تفهم بعد معنى (احترام الشرف الانسانى) الذى لم يكن الغرض منهُ تجنّب انتهاك حرمة تلك الوظيفه فقط ؛ بل يشمل الكفّ أيضًا عن الخصال القبيحة ، والأعمال المضرّة ، والسعى فى منع وقوع ذلك فعلاً . مثال ذلك . اذا ارتكب انسان جريمة السكر ، (والسكر مخالف للمرتبة البشريه) وجبت بمقتضى الشريعه معاقبته ؛ فالقاضى الذى يحكم عليهِ بالحبس أو الغرامه ، يكون قد فعل مايقتضيه العدل ؛ وكذلك اذا وُجد انسان بحال سكرٍ بيّن ، وعربدة ، فى مكان بعيد عن نظر رجال الضبط ، ثم أخذ يصيح ويغنّى أغانى غير لائقة ، أو أخذ يعاكس المارّة ، ألا يكون لكل انسان الحق فى أن يمنعهُ من ذلك باسم الوظيفة البشرية ؟

أو اذا رأيت شخصًا يسعى فى سَرِقَةٍ ، أو عش آخر ، ألا يكون من وظيفتك ، أن تحول بينهُ وبين ما يبتغيه ، وذلك بأن تدافع عن حقوق صاحب ذلك الشيء ، حتى يسود العدل الذى معناه فى الحقيقة احترام حقوق الآخرين

كل ذلك حق وعدل . ومما تقدم يتضح ان الجمعيه لا يمكن ان تقوم لها قائمة بغير العدل ، وأن الجمعية انما هى عبارة عن اجتماع جملة

أشخاص ، لكل منهم حقوق وواجبات ، وأمانى ومصالح . فاذا لم يكن الانسان آمناً مطمئناً متمتعاً بكل ذلك بتمام الحرية ؛ فعلامَ يعاشر الناس اذاً ؟

ان الهيئة التى لا يكون فيها احترام حقوق الآخرين مصموناً ؛ هى فى شبه حرب أو فى الطريق المفضية اليها ، اذ تضطرّ كلّ أسرة الى الانفصال عن الأخرى ، لتدافع عن نفسها عند مسيس الحاجة ، وبذلك تتلاشى تلك الهيئة من نفسها

ان المصالح الخصوصيه لا تكفى وحدَها لحفظ النظام العام ؛ كما ان الميول الشخصية لا توجب احترام جميع أعضاء الهيئة . لأن المصالح والميول قد تكون متنافرة عند الناس . لذلك كان من الضرورى ؛ ايجاد قاعدة مستقله تمام الاستقلال ، بعيدة عن كل غرض من الأغراض . وهذه القاعدة انما هى (العدل) . الذى هو مطابقة الشريعه الأدبية ، للعلاقات التى تنشأ عنها المعاشرة

فالعدل يقضى بأن لا بد للانسان أن يُقدِّر احترام الشرف الانسانى حق قدره ؛ سواء كان ذلك فيما يختصّ بشخصه أو بغيره

« الملخص »

العدل ينحصر فيما يلى :

« عاملِ الناسَ بما تحبُّ أن يعاملوك به » ؛ واحترم الوطيفة البشريه ، سواء كان ذلك بالنسبة لشخصك أو للآخرين

« ٢ — مستلزمات العدل »

الاستاذ — ان أول قاعدة يجب السير على مقتضاها ؛ هى (احترام النوع البشرى) . وانتكلّم عن الواجبات الخاصه التى تترتب على هذا الواجب العام

من البديهى ، ان العدل يقضى علينا . بأن نحترم حياة أمثالنا من بنى الانسان ؛ لأن كل مخلوق على وجه البسيطة ، انما يسعى فراغاً فى الهيئة الاجتماعية . فهو يكدّ ويشتغل ، ويعمل الخيرات ، ويحرث الأرض ؛ وأولادنا يقتفون أثرهُ ، ويثمنون عمله ، ويسيرون على نهجه

فقتل النفس مثلاً ، يحرمها تأديه تلك الأعمال المفيدة ، ويخلّ بالنظام الكونى ، فضلا عن مخالفته كل المخالفة ، لما تقتضيه الذمه ؛ وهو أفظع أثم يُرتكب على المرتبة البشرية . كيف لا ! وفى هذه الحالة يكون قد انفصل عنها عضو من أعضائها . وقد أمر الله سبحانهُ وتعالى باجتناب ذلك فقال عزَّ من قائل : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الاّ بالحق » ؛ ولذلك اتفقت التشريعه الإلهية مع التشريعة الوضعية ، على وجوب قتل من يقتل نفساً بريئة بغير حق . فقد قال سبحانهُ وتعالى « ان النفس بالنفس » ، « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » . ولا يمكن أن نستثنى من ذلك الاَّ القتل فى موضعَين اثنين : فى حالة الدفاع الشرعى ، وفى الحرب . لأنه فى

الحالة الأولى ، يكون للانسان الحق فى الدفاع عن نفسه وماله بكلّ الوسائل الممكنة ؛ اذ أن الذى يعتدى على حياة الناس ، لا يصحّ أن يبقى فى عداد بنى الانسان . ومع ذلك ، فان من الواجب علينا ، أن نبذل كل الجهد فى أن تكون ضرباتنا غير قاضيه على حياته ، مهما قسا قلبه وغلظ كبده

وفى الثانيه ، (وهى الحرب) فان الشعب يكون اذ ذاك مضطرًّا الى الدفاع عن حياته ، وماهيك بما يدفع الجنود وقت ذلك من الشعور والاحساس ، اذ أن قتالهم — والحالة هذه — لم يكن انتقامًا لأشخاصهم ؛ بل دفاعًا عن الوطن الذى يجب أن تضحّى فى سبيله النفس والنفيس . ولذلك يقدمون أرواحهم ، فداء له عن طيب خاطر . واذا قصروا فى ذلك كانوا مجرمين آثمين خائنين ، قد جبوا على تلك الأمه التى علّقت آمالها بهم ، ووكلت اليهم أمر سلامتها وسرها

حُكى أن بعض جنود المسلمين فى حروب الصليب ، كانوا يدخلون ليلاً خيام الفرنج ، فيسرقون ما تصل اليه أيديهم من متاع وسلاح ؛ فاتفق أن بعضهم أخذ صبيًّا من حجر أمه ، فوجدت عليه وجداً شديداً ، واستكت لملوكهم ، فلم تجد نفعًا . فجاءت الى السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وقصّت عليه قصّتها ، فرقّ لها ودمعت عيناه ، وأمر فأحضر الصبى ؛ وكان بيع فى السوق فدفع ثمنهُ لمن اشتراه . فاعترض عليه فقال له : « إنّا نحارب أشخاصاً أعلنوا حربنا ، وما نحارب بنى الانسان »

وكذلك يجب على الانسان ألاَّ يعتدى على حياة نفسه ، لذلك كان الانتحار مثلاً ، بذاله وجبنًا ؛ لأن لكل انسان منا – كما سبق ذكره – وظيفة يؤديها فى الهيئة الاجتماعية ، لا تقل عن وظيفة ذلك الحارس الذى يقيمهُ لحراسة مكان ما . فكما أن هذا لا حق له فى تركه مطلقاً ، كذلك الانسان لا يجوز له أن يعجل بمفارقة الحياة قبل الساعة المحدّدة ؛ والاَّ ظلم نفسه وأخلَّ بنظام الحياة . وكل ذلك نقصٌ فى التدبير العام

ولقد ضرب لنا سفراط عن ذلك مثلاً فقال :

« اذا حاول عبدك أن يقتل نفسهُ – أما كان لك أن تعاقبه ، على تخلصهِ من خدمتك بغير حق ؟ »

فاذا كان هذا حال العبد ؛ فكيف لا يعاقب الله ذلك الذى اعتدى على شريعته وأساء الى احسانه

أعِرْنى سمعك قليلا أيها البائس الذى يتمنى لو فارق الحياة ، انهُ اذا كان فى قلبك مثقال ذرّة من الميل الى الفضائل ، فاصغ الىَّ أعلمك كيف ترغب فى البقاء : عاهد نفسكَ على انك كلما هممت بمفارقه الحياة الدنيا ، تخاطب نفسك قائلا : « وما لى لا أعمل عملا صالحًا قبل أن أموت ، عسى ان يغفر لى ربّى ما تقدَّم من ذنبى » . ثم أسرع الى مساعدة يائس ، أو اغاثة ملهوف ، أو تعزية بائس ، أو الدفاع عن مظلوم . فانك اذا فعلت ، وجدتَ من نفسك دافعًا يدفعك الى

عمل الخير ، ويحبّب اليك الحياة

أما اذا لم يجدْ ذلك سبيلاً الى قلبك ، وتأثيراً فى عواطفك ؛ فمت ؛ فما أنت إلاّ حيان. وكذلك الانسان الذى يسعى ليسلب نفسه حريتها ، فانه يكون قد أساء الى الوظيفة البشرية لا محالة ، واعتدى على الاحترام الذى يجب عليه نحو شخصه

ومن الواجبات المفروضة على كل انسان للهيئة الاجتماعية ، الاحتفاظ بحقوق غيره . فكما ان من الواجب علينا ، ان نصون حياة الأشخاص ، فان من الواجب علينا أيضاً ان نصون اموالهم ، وما يحاجون اليه ، فى سبيل الحياة الدنيا

ان مشروعيه حق الملكية ، من الأشياء التى يجب علينا اعتبارها بديهة لانزاع فيها ؛ وان أول شىء نملكه ، انما هو ذلك البناء الذى نسكنهُ روحا . ولكن كيف نبسط ملكنا على ما لم يكن لنا . الجواب : ان الحياة لاتحفظ ، إلاّ بواسطه التبادل الدائم ما بين اجزاء الجسم الحى ، والاجسام المحيطة به ؛ لذلك كان من اللاّزم ، ان يكون لنا بعض تلك الأشياء ، ليسهل سبيل الحياة

ان حقوق الملكيه لم تتأسس على سعى الانسان للحصول على ما به قوام الحياة ، بل على التحسين الذى يبدو من ثمرة اعماله ، نحو المادة التى نستخدم فيها نشاطه كذلك

مثال ذلك ، اذا فرضنا انهُ يوجد قطعة ارض ، ليست مزروعة

ولاهى مملوكة لأحد ؛ وان أحدهم وضع يده عليها وزرعها . فمن المعقول حينئذٍ ان الذى أصلحها وغرسها فأنتجها ، هو أحقُّ الناس بثمرها

أما املاك بعض الأرض ، فله شروط أُخرى نتكلم عليها فنقول: ان الأساس الأول الملكية هو (وضع اليد) ؛ ومعناه « ان ما لم يكن مملوكا لأحد ، فلمن استحوذ عليه » إلاّ ان هذه القاعدة ، لايمكن أن تسرى على ما هى عليه الدنيا الآن ؛ لأنه قلّ أن يوجد مكان ، إلاّ ولهُ مالك ، حتى انك لترى الجبال نفسها ، والغابات ، والأنهار ، مملوكة للحكومة وهى لا تسمح لأحد ان ينتفع بهـا أو يتملكها ، الا بالشروط المبينة بالقوانين

أما فى الزمن السابق ، فقد كانت الحالة على عكس ذلك ، اذ كان كثير من المساحات اعتبر مُلاّك . وكان يكفى لتثبت ملكيتها ، ان يضع الانسان يده عليها ، ويعمل بها ما يدلّ على استحواذه عليها ؛ كأن يزرعها ، أو يبنى بها منزلا ، أو يقيم عليها سوراً ، أو ما شاكل ذلك. ولم تزل هذه الطريقة متبعـة الى الآن فى الجزر البعيدة ، والصحارى المقفرة ؛ وفى الحقيقة قد حمت القوانين والشرائع الاجتماعيـة حقوق الملكية ، واعترفت لكل انسان بحق الانتفاع بما هو مملوك له ، بلا معارضه من أحد وكذلك حق توريث مايملكه الأفراد اليه من بعده

وكما أنه لا يجوز الاعتداء على نفس الأشخاص ، كذلك لا يجوز الاعتداء على أملاكهم . فان الاعتراف بها ، واحترام تلك الملكية ،

شرط من شروط بقاء الجمعيه ، كاحترام الحياة البشرية . ولا شك أن حرمان الانسان الانتفاع بما يملكه ؛ هو اعتداء على الحقوق التشريعيه التي حصل بمقتضاها عليه ؛ وهو مما يضر بوظيفته ، ويخالف مستلزمات العدل

وأسهر طرق الاعتداء على حقوق الآخرين ؛ السرقه ، وهي حصول الشخص على شيء من حقوق الآخرين بغير حق . وكل أنواع السرقات قد يتعارف عليها قانونًا ، الاَّ أنها تختلف بعضها عن بعض في فظاعه الجرم . فالسَّرقه بالاكراه مثلا ، من أفظع الجرائم ، أما سرقة الأشياء في حال غياب ملاّكها ، فانها أخفّ ضرراً . ثم يتبع ذلك الغش والتدليس ، كأن يبيع الانسان للآخر حصاناً يعرف أنه مريض كتير العيوب ، ثم هو يؤكد أنه سليم ليس به عيب ، أو ينقص الكيل والميزان ، أو يسعى في تهريب شيء من الممنوعات ، أو ما شاكل ذلك ، مما يصدق على فاعله أنه خائن ، أو حرب الذمَّة ، أو عادم الوفاء

أضف الى ذلك ، أولئك الذين يأبون أن يردّوا الأمانات الى أهلها ، أو الأموال التي اقترضوها ، أو وجدوا شيئاً فحفظوه لأنفسهم ، أو امتنعوا عن ردّ شيء أخذوه من شخص بحجّة النسيان ؛ وما هي في الحقيقة إلاَّ مماطلة – وهكذا

ان حقوق الهيئه البشرية ، لتفوق في الأهميـة حقوق الحياة والحرية والسعادة ؛ إذ كل انسان منا يتوقف مقدار احترامه في نظر

اخوانه ، على ما يكون متصفاً به من الأخلاق والخلال . وبالجملة ، يتوقف على تلك الصفة التى ظهر للناس عليها . وهذه المزية هى أفضل وأشرف كل شىء ، وهى مايعبرون عنه (بالسمعه) أو (الشرف) ، وهى أقرب الصفات الى المرتبة البشرية . وانه كما يجب علينا أن نحترم ونبجّل أهل الخير ، فانه يجب ألاّ نتساهل فى الحكم على أولئك الذين يسيئون بالناس الظنّ . فكم من برىء تألم من قولٍ وُجّه اليه على غير هدًى ، ولذلك قرر القانون المعاقبة على التشهير وهو الاعتداء على أعراض الآخرين بالقول ، أو بطرُق النشر ، ولا يطلب من القاذف اثبات صحة ما قذف به

وقد يكون الأمر غير ذلك فى بعض الأحيان ، كأن يتعرّض القاذف لشرف الشخص ، بأن يُلصق به أموراً غير لائقة ، ويجتهد فى الحط من قدره وتحقيره فى عين غيره . ومع ذلك فان كل هذه السفاسف والأقاويل ، يعاقب عليها القانون . ومن الواجب على كل ذى شعور شريف ، أن يبتعد عنها

ثم اعلم يا بنىّ ؛ أن لكل انسان آراء ومعتقدات ، لا تقلّ احتراماً عن شرفه وماله وحياته . ولقد أباحت قوانين الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ حرية المعتقدات ؛ فقابلها كل انسان بالرضاء والارتياح . فالأتقياء من أى دينٍ مثلاً ، لهم أن يؤدوا شعائر دينهم . بلا منازع ولا معارض

ولا شيء أقبح عند الرجل الحرّ، من استهزاء بعضهم، أو لعنهم شخصاً لمعتقده، أو لادائه تلك الصيغة التي يستلزمها ذلك المعتقد، خصوصاً وقد انقضى زمن الاضطهاد، وأصبح جميع الناس المتمدينين يحاربون التعصب الديني، والهيجان الذي يتولّد في أفكار بعضهم، لمخالفة غيرهم لهم في الأديان بكل فواهم. وبذلك صار كل انسان حرّ التصرّف، ما دام بعيداً عن الإضرار بالآخرين، وهو مطلق الحرية في ما يعتقد ويتمنّى، ويفكّر ويقول، كما أنه له الحق في فعل كل مايوافق اعتقاده الديني

ويوجد على هذا النمط أمور كثيرة، كمعترك السياسة مثلاً، وهو ما لايخفى لك أن تحوص عماره يا بُنيَّ؛ فان بعض المنتحلين به يظنّون أنه لا تحابَّ، ولا احترام بينهم وبين الأشخاص الذين يخالفونهم في الرأي؛ وهو غلط واضح. لأن من الجائز أن يختلف الناس على أي أمر من الأمور بدون أن يؤثر ذلك الخلاف فيما بينهم من المحبة. وإذا كان من الواجب علينا أن نحترم حرية سوانا في الأفعال؛ فهلاّ احترمنا حريتهم في أفكارهم وميولهم؟ فالتسامح ركن من أركان العدل، وهو ذو أهميه عظمى لوجود الوفاق بين الناس المختلفين في الرأي أو الاعتقاد

« ٣ معاملة المرء لغير أهل دينه »

الاستاذ – كيف تعامل اذاً يا بُنَيَّ أهل الأديان المخالفة لدينك، أو المغايرة لمذهبك ؟

التلميذ – أحسنُ معاشرتهم، وأعطف عليهم عطفي على أبناء ديني، لأنهم اخواني فى الانسانيه

الاستاذ – بخ بخ لك يا بنيَّ !

التلميذ – ولكنّا نسمع بعض الناس يملون بالآية الشريفه « ولا تؤمنوا إلّا لمن تبع دينكم »

الاستاذ – كلاَّ ! وألف كلاَّ ! فان هذه الآيه جاءت فى القرآن الكريم، حكاية عن كُفّار قُريش، يحذرون أنفسهم من معاملة أصحاب رسول الله، عليه الصلاة والسلام؛ ولذلك لا يصحّ أن يؤخذ قولهم نصيحه عامه . ولو كان العكس لوجب الأخذ به حقيقة . قال الله تعالى فى محكم كتابه . « وإن أحد من المشركين استجارك فأجِرهُ، حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه » هذا أمان الإسلام لأهل الشرك، فما ظنك بأمانه لأهل الأديان السماوية؛ وقد قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين؛ ولم يخرجوكم من دياركم، أن تبرُّوهم وتقسطوا اليهم؛ ان الله يحب المقسطين » وتفرّق الناس شِيَعًا – قصت بها الارادة الأزلية – قال تعالى

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا. أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »

والخلاصة – ان جميع الناس ، وان اختلفوا دينًا ، أو تباينوا مذهبًا ، سواء فى محبتنا واحترامنا ، ومعاملتنا (لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا)

قال أبو العلاء المعرّى :

والدّينُ إبصافُك الأقوامَ كلّهمُ وأىُّ دينٍ لآبى الحقّ ان وحبا

« الملخص »

من الواجب علينا أن نحترم حياة غيرنا ، إلّا فى حالتى الدفاع الشرعى والحرب . وليس لنا الحق بأى وجه من الوجوه فى الاعتداء على حرية الآخرين ، ولا فى التخلّى عن حياتنا الشخصية

كل من قتل نفسه ، يكون من الجبناء

يجب علينا أن نحترم حقوق الناس ، وسمعتهم ، ومعتقداتهم ؛ فان الدين لله وحده ، والوطن للجميع .

الدّين للديّان جلّ جلالُهُ لو شاء ربك وحّدَ الأقواما

« ٤ فضائل العدل »

ان تلك الواجبات التى ذكرناها ، قد يتبعها فضائل كثيرة ، هى فى الحقيقة نتيجة تأدية تلك الواجبات

أما أُولى تلك الفضائل وأهمُّها وأحدرها بالثناء فهى :

(١) « الأمانة » التى تعنى بأن لا يغتصب الانسان ما لغيره ؛ أو بعبارة أعمّ وأوضح – لا يجوز له أن يعتدى على حياة الآخرين ، أو حرّيتهم ، أو أموالهم ، أو أعراضهم . فالأمانه هى احدى الفضائل التى يتحلّى بها الرجل الشريف الذى لا يُسىء الى أحد

أما القَتَلة ، واللُّصوص ، وقُطّاع الطريق ، والطُّغاة ، وهؤلاء كلهم أعداء تلك الفضيلة

والأمانة تفرض علينا كثيراً من الواجبات . نحرص علينا أن نُعطى كلَّ ذى حقٍّ حقَّهُ ، وان نردّ الأشياء التى نجدها أو نأخذها بحيله أو خدعة لأصحابها . ولنفرض أنك حسَّنت لأحد رفقائك أن يلعب (البلى) معك ، مع علمك أنهُ لا يحسن اللّعب ، وكان هو يظن انك است ببارع فيهِ ، و نتج عن ذلك ان ربحت كل ما كان معهُ ؛ فانك لا تُعتبر فتى شريفاً ، إلاَّ اذا رددتَ اليه ما ربحته منه على تلك الصورة

وتفرض علينا أيضاً أن نقول الحق دائماً وأبداً ، فانهُ لا سعادة إلاَّ مع « الصدق » نعم – لقد يضرُّنا الصدق أحياناً – إلاَّ أننا نكون اذ ذاك قد أرضينا ذمتنا ، وأرحنا ضميرنا . وما أحسن قول من قال

عليك بالصّدقِ ، ولو أنهُ أحرَقَكَ الصّدقُ بنارِ الوعيد

واذا فرضنا أن المعلّم رأى خريطة ممزّقه ، وسأل من الممزّق لها ؛

من المفهوم ان جميع التلاميذ لابدَّ ان يصمتوا عند ذلك ، ولا يجيبوا خشية التنيحة ؛ فاذا ما وقف الفاعل معتذراً معترفاً بما كان منهُ ، فلا ريب ان الأستاذ يسامحهُ ، أو يعافيه عقابًا خفيفًا ، ولا يحفظ له تلك الزلّة . لأن مجرَّد قوله الحق ، يكفي لمحو الذنب ، ويدلّ على انه شريف ، وان ضميره هو الذى دفعه أن يقول الحق

(٢) « الانصاف » وهو احدى تلك الفضائل أيضًا ؛ يعرض علينا أن نبتعد عن الشرّ ، ونحكم النظام والعدل فى كل ما يستعمل الانسان قوّته فيه . فان القاضى الذى يحكم بالسجن ، أو بالغرامة على اللصّ ، أو على من يحدث ضوضاء موجبة لتكدير راحة السُّكان ؛ والذى يردّ الحقوق المغتَصبَة الى أهلها – لقاضٍ منصف

ويُعدُّ منصفًا أيضًا ، ذلك الاستاذ الذى يعاقب الكسول ، ويكافئ المجتهد

وكذلك التلميذ الذى يقسم تفّاحة متلاً بين رفقائه ، تقسيمًا عادلاً

(٣) «والصدق» وهو الأمانه والحزم ، اللذان يستعملهما الانسان فى تأدية ما يجب عليه

مثال ذلك : اذا وعد الانسان صديقًا له بأن يؤدى له خدمةً ما ؛ فانه لاشىء اكثر خباثة ، وأسفل للفكر من عدم الوفاء . فان أساس الصداقة هو احترام الوجود ؛ وهو نوع من الاحترام الواجب لكل انسان نحو شخصه

ولقد اعتاد بعضهم أن يعزّز كلامه احيانًا ، باستشهاده الله على قوله، وهو العالم بكل شيء ؛ وهو ما يُسمَّى فى عرفنا باليمين . فاذا كان الوعد يجب ألاّ يستهان به ، فكيف اليمين . ان الذى يحنث فى يمينه لرجل ظالم خائن عادم الشرف

(٤) « وسلامة الذوق » هى أمانه سامية ، وانصاف واضح — هى الصدق بأدقّ معانيه — بل هى تتمّة الفضائل جمعاء — وهى تقضى باعطاء الحق لصاحبه ، كلما وُجد سلكّ

مثال ذلك : اذا ادَّعى ريد أن الطريق التى تفصل مزرعته من مزرعتك ، هى مُلكٌ له ، ولم يُقم على دعواه دليلاً ؛ الاّ انه رغب فى فضّ هـذا التنازع بينكم بغير تقاضٍ ، وكان زيد فقيراً ؛ فان من الواجب عليك أن تتنازل له عن تلك الطريق ، وتسمح له بضمها الى أملاكه ، عساه أن ينتفع بزراعتها

أو لنفرض ان شخصَين أطلقا معًا عيارَين ناريَّين فى آن واحد على طائر فوقع — فلمن يكون يا ترى ذلك الطائر ؟ لا شك انه اذا كان الاثنان من ذوى الاحساس ، سابق كل منهما زميله فى نسبة تلك الاصابة اليه ، واجتهد فى أن يتخلّى عنه وربما انتهى الأمر بأن يأكلا تلك الغنيمة معاً ، ثم يكونان بعد ذلك أصدق صديقَين

فالاحساس فى الحقيقة ، هو الذى يُظهر فضل الانسان ، وبدونه تكون الفضائل ناقصة لامحالة . فاذا كان من الواجب احترام

المنصفين العادلين ؛ فمن الواجب احترام ذوى الاحساس الشريف

حكى أن نابليون الثالث ملك فرنسا كان يتعهد بناء قصر اللوفر يوماً من الأيام ؛ فتقدم اليه نحات أحجار ، وتوسّل اليه أن يسمح له باستعمال سيجارة كانت بيده من سيجارة الملك . فدهش لأول وهلة ثم سأله عن السبب فقال . هذا رهان بينى وبين رفاقى ؛ فضحك الملك وقال : لقد ضاع عليك الرّهان يا بطل ! وخجل النحات ؛ فرقّ له الملك ، وسأله كم مقدار الرهان . فقال خمسه فرنكات يا جلالة الملك ؛ فأمر له بعشرة — للرهان خمسة وله خمسة — فجاء فعله هذا وسطاً بين مقام الملك ، ومكارم الأخلاق ، ومنتهى سلامة الذوق

« الملخص »

« الأمانة » هى اسّ الفضائل ، وهى التى تدفع الانسان دائماً الى التمسك بالصدق ؛ « والصدقُ ، والانصافُ ، وسلامه الذوق » هى أسرف درجات الأمانه التى يجب أن يتحلى بها الانسان

« تمرين »

بماذا يقضى العدل ؟ — هل يكفى ان يعامل الانسان الناس كما يريد أن يعاملوه ، ليكون رجلاً شريفاً ؟ — من المكلّف بتطبيق العدل ؟ — لماذا يجب ان يحترم الانسان حياة أقرانه ؟ — ما المستثنى

من هذه القاعدة ؟ – لماذا يعدّ الانتحار جُبنًا ونذالة ؟ – ما حقوق الملكية ؟ ما السرقـة ؟ – هل السرقة على أنواع كثيرة ؟ – ما معنى التشهير ، أو القذف ؟ – لماذا كان التسامح من الضرورات ؟ – بماذا يقضى الصدق ؟ – ما الذى يدعونا الى الصدق ؟ – ما الانصاف ، وما الأمانه ، وما سلامة الذوق ؟

الفصل الثالث

« ١ – الاحسان »

التلميذ – يُفهم مما تقدم يا سيدى الاستاذ ، ان الجمعية مؤسسة على العدل ، وعلى السرائع المتخذة منه ؛ وانهُ اذا كان الناس عادلين ، كانت الانسانيه تامة

الاستاذ – لقد اصبت يا ولدى ، ألم أقل لك إن العدل هو أولى الفضائل التى تعرضها القوانين الأدبية ، على الأشخاص المتعاشرين ؟ وقد يوجد شيء آخر لا يقلّ عنه فى فائدة وسعادة الانسان ، ولو انهُ يوجد صعوبة عظمى فى استعماله وانى ليحيل لى ان فى إمكانك ان تسميه بناء على ما تقدم

التلميـذ – نعم هو « الاحسان » الذى كثيراً ما دار بخلدى

الاستاذ – نعم ! لقد أصبت . وكما تكلمنا عن العدل ، من

الواجب أن نتكلم عن الاحسان الذى هو من متمماته – فقل لى اذاً، ما الاحسان ؟

التلميـد – الاحسان على ظى ، هو عمل الخير مع الجميع

الاستاذ – هل يكون الانسان محسناً ، اذا لم يقم بكل ما يجب عليه نحو الآخرين ؟

التلميد – يُعدُّ محسناً اذا بذل كل ما فى وسعه لاتمامه ولو لم ينجح

الاستاذ – اذاً يحسن أن يقال من باب أولى : ان الاحسان هو السعى فى نفع الآخرين ، وأول درجاته العطف والحنان

ولكن لماذا يجب علينـا أن نعطف على غيرنا . هل ذلك لأن القوانين الأدبيه تحتمه علينا ، ومن الواجب أن نخضع لأحكامها ؟

التلميـد – نعم .

الاستاذ – اذا كان الأمر كذلك ، فانه لا يصح أن يُطلق علينا اسم محسنين ، باكتفائنا بإبعاد الضرر عن سوانا – فهل أنت على هذا الرأى ؟

التلميذ – لا يا سيدى ! – توجد أمور كثيرة غير ما ذكرنا : كالتصدّق ، وردّ الأمانات ، والسعى فى إنقاذ الغرقى ، والابتعاد عن قتل النفس

الاستاذ – أنفصد بذلك أنه يجب علينـا أن نكون عادلين ، اكثر مما نكون محسنين ؟

التلميذ – ربما كان كذلك غير انني لست استطيع التعبير عما فى ضميرى منه يا سيدى الاستاذ

الاستاذ – سأشرح لك ما تريد : للعدل قاعدة مضمونها « لا تُعامِلِ الناس بما لا تحبّ أن تعامَلَ به » أى « لا تؤذِ أحداً » وقاعدة الاحسان « عامل الناس بما تحبُّ أن يعاملوك به » أى « احسن الى الناس » . من ذلك يفهم جلياً ، ان الأمر الأول يمكنك أن تعبر عنه بقولك « لا تعمل سرًّا » ؛ أما الثانى ، فانه لا يكفى فيه قولك « اعمل خيراً » لأن عمل الخير لم يكن محدوداً ، فضلاً عن كونه يتعير بتغير الظروف . وزيادة على ذلك ، فان طرُقه ومواضعه واسعة لا نهاية لها . لذلك يمكن أن يقال بكل اختصار : ان العدل يقضى بأن لا تقصر فى احترام النوع الانسانى ! كما يقضى أيضاً باستعمال ما يستلزمه الاحسان ؛ مما يمكن تلخيصه فى النواهى الآتيه :

لا تقتل – لا تسرق – لا تخدع – لا تغش أخاك – لا تحتقر انساناً – هذا ما يلزمك أن تُجيب به من قال لك : « كيف اكون عادلاً » . أما اذا قال لك : « كيف اكون محسناً » ؛ فانه من المستحيل أن توفى الموضوع حقه ، لأن دائرته غير محدودة ؛ إلاّ أنه على كل حال قد يمكن تلخيصها فيما يلى :

« اصنع كل ما يمكنك عمله من الخير لغيرك » – وبذا يكون

مجال حرية العمل متّسعًا ، ومع ذلك فكل ما هو واجب فى الأول ، واجب لا محالة فى الثانى

التلميـذ – حينئذٍ هل يلزم أن يكون الانسان محسنًا ؟

الاستاذ – نعم ، إلاّ أن لهذا اللّزوم معنًى آخر ، نعنى أنه – لكى نسعى فى عمل الخير للآخرين – يجب علينا أن نتحابَّ

التلميـذ – هل من الممكن ، أن يحبَّ الانسان جميع العالم ؟

الاستاذ – من الواجب أن يكون لكل انسان نصيب من مَيلك الطبيعى ؛ بمعنى أنه يكون مشمولاً بعطفك نحوه ، ومساعدتك اياه ؛ ومن ذلك تتولد المحبة . فالمحبة توطد دعائم المعاشرة ، وتوجد للانسان نوعًا من الأسرة ؛ لذلك كان الأصدقاء والمخلصون ، بمنزلة الاخوة ؛ ويكون بينهم من الروابط ما بين أفراد العيلة الواحدة ، ولا يبحثون عن الفائدة ، بل يسعون فى توثيق عرى المحبـة . فالصفات الحميدة ، والفضائل الجليلة . والمزايا الجميلة ؛ هى التى تقرّب الناس بعضهم من بعض . لذلك كان الرجل الصالح ، لا يحب الاّ المحب للخير

ومن الواجب على التلميذ ، أن يتعوّد منذ صِغَرِه . ألاّ يخالط غير الصالحين من أقرانه ؛ فما أصدق من قال :

« قل لى مَن عشيرُك ، أقلْ لك من أنت »

التلميذ – هذا ما قاله لى والدى كثيراً ؛ ولذلك أصبحت صديق (محمود) الحميم ، لأنه – وان كان فقيراً – حسن السيرة والسريرة ،

فضلاً عن كونه ذكيًا ومجتهداً ؛ وبالعكس زميلي الآخر ابن الطحّان . فانى فصلاً عن دعوته اياى غير مرّة لتناول الغذاء معه ، وتودُّده الىَّ بجميع الوسائل ، أنفر منهُ وأجتهد فى الابتعاد عنه ، لأنهُ شرير

الاستاذ – يجب على التلاميـذ العقلاء ألاّ يجعلوا اللّعب والمزاح سبباً لانحلال المحبة ، بل يجب عليهم أن يتبادلوا عمل الخير . بمعنى أنهُ اذا مرض أحدهم ، عاده الآخرون ؛ واذا افتقر ، أعانوه ؛ واذا تكاسل استحثّوه واستنهضوه وعلّموه ، وبالجملة قدّموا له كل مساعدة ورعاية . فالمحبة التى على هذه الصورة هى أفضل ما يتّصف به الانسان . فنتيجة هذا الميل الطبيعى ، وهذا الحب اللذين يشترك فيهما كل انسان ؛ يولدان عندنا الاخلاص للناس ، وتصحيه المصالح الذاتية ، وكلاهما لايمكن أن يكون الانسان محسناً بدونه

أما القوانين الأدبيه ، فانها تفرض علينا أمرين : احترام الوظيفة البشرية ونبْذ الأغراض التشخصيه . إذ أن العدل يستلزم الأولى ، والاحسان يستلزم الثانيه . ويمكن أن يعبّر عنهما « بالنزاهـة » لأن المجتمع هو إيثار الانسان لمـا يعود عليه شخصيًا بالمنفعة . والانسان لايكون نزيهًا ، إلاّ اذا فضّل المنفعة العامة (كمنفعة الوطن ، أو الاسرة ، أو الجمعية) على منفعته الذاتيه ، أو منفعة شخص مخصوص (كأحد الأقارب أو الأصدقاء) . فلو فرضنا أنّ أحد التجار المشهورين بالذمة والصدق فى المعاملة ؛ سوف يشهر افلاسه ، اذا حتمنا عليه دفع مالهُ

عليه من الديون حالاً . أو أن زارعاً منعته رداءة محصوله ، من اداء ما لنا عنده ؛ فاننا نكون محسنين اذا نحن ساعدنا أولئك الذين يعاونوننا فى الحياة والأعمال ، والمحنة والمروة ؛ وتناسينا ما يعود علينا من الفائدة المادية من وراء تلك المطالبة

النزاهة والاخلاص ، من عواطف الأسرة ؛ وهما لا ينحصران فى تلك الدائرة الضيقة ؛ بل يتعدَّيانها أيضاً الى الوطن والجمعية ، اللذين هما فى الحقيقة الأُسرتان الكبيرتان لبنى الانسان

« الملخص »

الاحسان ينحصر فى حب الخير للآخرين ، وهو غير اجبارى كالعدل ؛ ويفضى علينا أن نتحابّ ، ويحتم علينا أن نُخلص لسوانا ؛ ونضحى مصالحنا الذاتية فى سبيل مصلحة الآخرين

« ٢ — الاحسان فى الجمعية »

التلميذ — لقد أوضحت لى يا سيدى الاستاذ ما العدل ، وما علاقته بالفرد ، ثم علاقته بالجمعية ، وكيف أنه أصبح نظاماً تاماً ، ذا قوانين تبين ماهيته ، وقضاة يذودون عن حياضه . فهل الاحسان كذلك أى أن الهيئة الاجتماعيـة ملزمة أن تشترك فيهِ كما اشتركت فى التمسك بالعدل ؟

الاستاذ — الاحسان وان كان واجباً شخصياً ، فهو واجب عمومى

أيضاً ؛ اذ من المحتم على كل أمة متمدينة ، أن تتمسك به وتعتصم بحبله

التلميـذ – وكيف تتمكن الجمعية من اظهار النزاهة والاخلاص ؟

الأستاذ – ان هذين الأمرين قد يتغيَّران اسماً ، وان كانا لا يتغيران معنًى ؛ وذلك تبعاً للأحوال . فالنزاهة مثلاً ، قد تحل فى بعض الأحيان محلَّ التضامن ، والاخلاص محلَّ الاخاء

التلميـذ – ذلك ما لم أكن أفهم من قبل

الأستاذ – ألم تلحظ فى كثير من المواضع – حينما حادثتك عن فائدة الجمعية – ان كل مرافقنا ومصالحنا ، مرتبط بعضها ببعض تمام الارتباط ؛ وانه من المستحيل الاعتـداء على مصالح فريق ، دون التعرُّض لمصالح الآخرين ؟

مثال ذلك : لنفرض أن ريداً حدَّاد ؛ وأنه سمع أن أسعار القطن ارتفعت ارتفاعاً هائلاً فقال : « مالى والقطن ! وماذا يعنينى من ارتفاع ثمنه ، ما دام ثمن الحديد على ما هو عليهِ » ثم بعد ذلك أراد أن يشترى نسيجاً ؛ فعلم أن ثمن المتر أصبح ضعف ما كان عليـهِ سابقًا ، أو اكثر . ألا يعود على نفسه باللائمة ، لعدم اهتمامه بارتفاع ثمن القطن ؛ وهل تظن أنه يعود الى مثل ذلك مرة أخرى ؟

أو اذا تلفت زراعة القمح مثلاً ، أو تفشَّى مرض البهائم ، أو حدثت حوادث خطيرة فى بلاد المناجم ، أو طغت المياه فأتلفت مزارع أو منازل أحدى القرى ، لم يكن أصحابها هم الذين أصيبوا فقط

بل الهيئة الاجتماعية عموماً تكون اذ ذاك قد أُصيبت . لان جميع أبنائها متضامنون مشتركون فى كل شىء ، سواء كان نافعاً أو ضارًّا

لذلك فكّر الناس فى أن يمدُّوا يَدَ المساعدة لأمثال أُولئك المنكوبين ، كما يقتضيه التضامن . والتضامن لم يكن معناه الاحسان ، لأن المقصود به المصلحة اكثر من الواجب . فاذا ما نُكبت مدينة أو بلدة نكبة ؛ بأن حصل لها غرق أو حريق ، أو زلزال أو طاعون ، اكتتب الناس اكتتاباً عموميا لمساعدة المنكوبين . وهناك يجود كل انسان بما تسمح نفسه ، تخفيفاً لويلات المصابين ؛ حتى اذا ما تبادل الناس أمثال هذه المساعدات ، خفّت مصائب بنى الانسان

وأحياناً تصاب بعض البلاد بمصائب مختلفة ، فتمدّ لها يد المساعدة جميع البلاد الأُخرى ؛ أما قرأت حكاية الأعمى والمُقْعَد ؟

يحكى أن أعمى ومُقعداً ، كانا مقيمَين فى مدينة ، وهما فى غاية الفقر ، لا قائد للأعمى ، ولا حامل للمُقعَد . وكان فى تلك المدينة رجل من المحسنين ، يطعمهما ويسقيهما . واستمرّا على هذه الحالة الى أن مات ذلك المحسن ، فأقاما بعده أياماً وقد تعبا تعباً شديداً . فاتّفقا على أن يحمل الأعمى المقعد ، وهو يدله على الطريق ببصره ، ليستطعما أهل المدينة فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا

هاك ملخّص تلك الحكاية التى تعلمتها بالمدرسة ؛ وأنى أفهم منها ان الانسان يلزمه أن يساعد اخوانه فى الأعمال . فان الناس

يتمّ لهم المعيشة الاّ بالمساعدة والمعاونة ؛ وانّك بالنسبة لذلك لترى صاحب المصنع أو المتجر ؛ يبذل كل الجهد فى عمل كل ما يكفل راحة عُمّاله ومستخدميه . ففى البلاد الصّناعية ؛ يبنى صاحب المصنع منازل صغيرة ، يؤجرها لعمّاله بقيمة زهيدة ؛ ويقدّم لهم الآلات اللازمة للعمل مَجّانًا ؛ ويؤسس المدارس لتعليم أبنائهم فيها — كل ذلك لتوفير أسباب الراحة والسعادة للعمال — وفى مقابل ذلك يتفانى العمال فى خدمة صاحب المعمل ، ويبذلون ما فى وسعهم فى كل ما يعود عليه بالفائدة والمنفعة

يعلم من ذلك أن الشكر والامتنان المتبادل بين الناس ، يوجدان فى قلوبهم شعوراً راقيًا ؛ وهو ما يعبّر عنه بالاخاء

اذا رأى الانسان انسانًا يتألم ، وتذكر ماصنعه معه الآخرون عند ما كان هوكذلك — فان كان طيّب العُنصر حسن التربية — شعر بأن ذلك الانسان ، لم يكن الاّ أحد أبناء الأسرة البشرية التى هو فرد منها ؛ وان لجميع اخوانه الحق فى عطفه واخلاصه ، وليس المراد ألاّ يساعد الانسان الاّ من ينتظر منهم المساعدة يومًا ما ، أو لا يعاون الاّ من يظن انهم يعاونونه ؛ بل يعمل الخير حبًّا فى عمل الخير ، من غير أن ينتظر عوضًا . ويساعد أيضًا من لا منفعة لهم فى الهيئة الاجتماعية ، كالعَجَزة والعُمى ، والمجاذيب وغيرهم ؛ لذلك قضى الاخاء أن ينشأ فى كل مكان مستشفيات تقابل فيها المرضى بكل

حفاوة واكرام، ويعاملون بكل رفق واحسان . والأخاء أيضاً هو الذى ألهم فاعلى الخير، أن يؤسسوا ملاجئ يلجأ اليهـا الأيتام اللقطاء؛ فيربّون بكل اعتناء، حتى يقدروا على الاسترزاق، ويفيدون الهيئة الاجتماعية التى اتخذتهم أبناءها بنتائج أعمالهم وقرائحهم

الأخاء – وهو عبارة عن الاحسان العام – يشغل مكاناً عظيماً فى الهيئة الاجتماعيـة . لذلك لخّصت قوانين الثورة الفرنسية كل ما للوطنى وما عليه من الحقوق والواجبات فى ثلاث كلمات :

«الأخاء – الحرية – المساواة» . والأوّل هو الغرض الأهم من الاجتماع

« الملخص »

الاحسان ليس بواجب فردى فقط ؛ بل هو كذلك واجب عامّ. وهو الذى يوجد فى الناس حبَّ التضامن ، أو تبادل الاعتراف بالجميل؛ والأخاء والاحسان واجبانِ على الكل للكل

« ٣ – فضائل الاحسان »

التلميـذ – علمت أن للعدل فضائل – فهل الاحسان مثلها ؟

الاستاذ – نعم ! وما الاحسان الاّ من متمّمات العدل كما سبق ذكره ؛ وهو من الأمور التى تساعد على الرقىّ الأدبى

التلميذ – هل لسيدى أن يشرح لى ذلك ؟

الاستاذ – لعلك تذكر اننا حينما تكلمنا على العدل ، ذكرنا الأهمّ فالمهمّ . ذكرنا الأمانة ، فالانصاف ، فالصدق ، فالنزاهة . أما الاحسان فيتلو العـدل ، وأُولى فضائله العطف . فالرجل الشريف العواطف ، يكون عادة متلبّساً بالفضيلة التى يتحلّى بها كل انسان نشأ على حب العدل

التلميذ – نعم ؛ ولقـد علمت أن الانسان اذا لم يكن عادلاً ، لا يكون محسناً

الاستاذ – واذا لم يكن كذلك ؛ فمن الواجب عليه أن يتعوّده شيئاً فشيئاً ، حيث يبتدئ بالواجبات البسيطة ، ثم يترقى فى العمل . وذلك بأن يجتهد أولاً فى ردّ ما آخذه من الناس . فاذا فعل ، اجتهد حينئذٍ فى الاحسان اليهم ، بطريقة بعيدة عن كل غرض ؛ ويلى ذلك الاخلاص لهم

أما الرجل الوهّاب النّهاب ، الذى يسرق ويحسن ؛ فلا يظنّ أن الحسنات ، يُذهبنَ السيئات

التلميذ – لقد وعيتُ كل ما أُلقى علىّ ، بحيث لم أعد فى حاجة الى شرح معنى العطف ؛ فان معناه أن يحسن الانسان الى الفقراء ، ويؤاسى البائسين ، قدر استطاعته

الاستاذ – نعم ؛ ولكن ألا تعلم أن كثيراً من الأغنياء أيضاً ، قد يحتاجون فى بعض الأحيان الى شفقتنا ورأفتنا ومساعدتنا . فالاحسان

اذا ؛ قد يدعو الى عمل الخير مع جميع الناس، على اختلاف درجاتهم، وتفاوت طبقاتهم ؛ لنعلّم الجهلاء ، ونرشد الضالين ، ونردع المخطئين ، ونساعد البائسين ، ونخفف الأحزان ، ونصلح العيوب ، ونمسح الدموع ، ونضمد الجروح

فلا يكفى وضع اليتامى متلاً ، حيث يعتنى بهم فيتغذون لأن الناس كلهم لا يعدمون خبزاً - بل يجب أن يسعى الانسان فى مؤاساتهم وتسليتهم ؛ حتى لا يعود أحدهم يذكر أنه فقد أمَّه أو أباه . وذلك بأن نشجعهم ، ونعلمهم ، ونحبهم ؛ ولقد أنصف أولئك الذين يتبنّون أمثال أولئك اليتامى ، ويعاملونهم كأولادهم . وما ذلك الاَّ لتمسّكهم بالاحسان الذى معناه فى الحقيقة (تبادل المحبة)

التلميذ - وهل من الواجب أيضًا ، أن نساعد ونعاون منكرى الجميل الذين يقابلون الاحسان بالاساءة ؟

الاستاذ - نعم يا بنيَّ! فان حسَّ عمل الخير ، لا يكون تامًا الاَّ اذا كان مقرونًا بالشفقة ؛ وهى نتيجة العفو والمرحمة . فاذا لم تسمح الفرص لانسان أن يظهر بمظهر المشفق ؛ فلا أقلّ من ان يبرهن على انه سمح يتساهل فى الاساآت والغلطات التى تتصل به من سواه ، ويتساهل أيضًا مع اولئك الذين ينكرون جميله

مثال ذلك - اذا أعطيت لتلميذ كرةً أو بلّية ، وامتنع عن ان يقرضك شيئًا ، أو اذا تشاجر معك انسان ، او تكلم فى حقك

بكلام آلمك سماعه، فالواجب أن تهز كتفيك استهزاء مما قال وتتبسم؛ فلا يلبث أن يتلاشى العصب وتصغر الجريمة فى عينك. ثم مع ذلك لا تحمل له ضغينة، بحيث اذا عاد اليك، فافتح له ذراعيك، وقبّله بين عينيه، ترتفع مكانتك فى أعين الناس

أما اذا عالك على هذا الفعل أحمق، فلا تلتفت اليهِ، ولا تصغِ الى سخافته، فليس من العار ان يكون الانسان حليمًا، ومحسنًا صفوحًا

هاك ما يحدونى ان ادكّرك ثالث فضيلة الاحسان، تلك التى سألتنى ان اشرحها لك. وهى (الكرم) فانى ملخّصها لك فى هذه الجملة: «لا تقارن بين اعمالك واعمال غيرك»؛ لأنه اذا انتظر الانسان ان يكون زميله هو البادئ بالاحسان لم يبدأ أحد. لذلك كان من الواجب على كل عاقل ان يكون سبّاقًا الى عمل الخير. فاذا دفعك انسان او سبك، فلا تتلبس بالغضب، ولا تغيّر سحنتك واعتقد ان المسيء لا بدَّ ان يلقى ثمره ما حتْ يداه؛ ولا بدَّ له من يوم يعود على نفسه فيه باللائمة، ويذوب حسرةً على ما كان منه — فالبائس فى الحقيقة انما هو الشرير — فاذا كنت غنيًّا، فتصدق على الفقراء؛ وان كنتَ فقيراً، فافعل مثل ذلك ايضًا، فانه سوف يتضاعف لك الجزاء؛ فقد قال سبحانه وتعالى. «مَثَل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله، كمثل حبّةٍ أنبتت سبعَ سنابل؛ فى كل سنبلةٍ مائة حبه. والله يضاعف لمن يشاء»

وليست الصَّدَقَة مقصورة على العطاء ، بل المحبة تُعدُّ صدقة في الحقيقة

التلميذ – وهل السخاعة فضيلة أيضًا ؟

الأُستاذ – نعم ! وهي أرقى درجات الفضائل التي شرحناها . وقد قيل ان أحد أبطال الاحسان ، بعد أن صرف كل ما كان يملكه على الفقراء والمعوزين ، استأجر قارنًا وأخذ يشتغل ليحصل منهُ على ما يساعده على عمل الخير ؛ وبطل آخر للرأفة ، سامح رجلاً أراد أن يسرقهُ ؛ وبطل آخر للسخاء ، آثر على نفسهِ في وقت الحرب ، جريحًا كان مشرفًا على الموت طمأ

« الملخص »

من الاحسان ينتج ثلاث فضائل رئيسية ، تتحد مع فضيلة العدل وهي : العطف ، والرأفه ، والكرم

والسخاعة أكبر درجات تلك الفضائل التي لا مثيل لها في الرفعة والمكانة

« تمرين »

هل الاحسان إلزامي ؟ – لمَ لا يكون للفقراء الحق في طلب الصَّدَقَة ، مع علم الجميع أن الانسان يجب عليهِ أن يستعمل العدل في

معاملتهم ؟ – بيّن شكل الاحسان ، وصِف فضائله ؟ – لماذا أنشأ الناس المستشفيات والملاجئ لتخفيف ويلات الانسان ؟ – هل من الواجب على كل من عولج فى أحد تلك المستشفيات أن يعترف لأصحابها بالجميل ؟ – ولماذا ؟ وكيف يعبر عن ذلك ؟ – اضرب مثلاً للعطف والتسامح والسخاء، ناسباً اياها الى الجمعية ؟ – هل يتسنى للانسان أن يكون نادرة زمانه فى فضيلة من الفضائل ؟

« قصيدة اليتيم (١) »

يَتيمٌ تفاضاهُ الهمومُ حياتهُ ... وتحرمهُ طيب الحياة خطوبُ
وما اليُتْم إلاَّ غُربةٌ ومهانةٌ ... وأىُّ قريبٍ لليتيمِ قريبُ
يمرُّ به الغلمانُ مثنًى وموحداً ... وكلُّ امرىءٍ يلقى اليتيم غريبُ
يرى كلَّ أمٍّ بابنها مستعزّةً ... وهيهاتِ أن يحنو عليه حبيبُ
يسائلهُ الغلمانُ عن شأن أهلهِ ... فيحزنهُ أن لا يجيبَ مجيبُ
اذا جاءه عيدٌ من الحَولِ عادهُ ... من الوحد دمعٌ هاطل ووجيبُ
كأنَّ سرورَ الناس بالعيد قسوةٌ ... عليه يفيض الدمع وهو صبيبُ
يظلُّ حسوداً للذين أظلّهم ... من العيش فينانُ الغصون رطيبُ
وما علّم الغلّ الفتى كمصيبة ... دهتهُ فلم يعطف عليه ضريبُ
فيا ويلهُ قد مزّق الغلُّ قلبهُ ... وأُنشبَ فيه للشقاء نيوبُ

(١) لاحد الادباء

الباب الثانى

الفصل الأول — الوطن

« ١ — الوطن عبارة عن أسرة »

التلميذ — لقد فكّرت كثيراً لما ذكرتهُ لى عن الواجبات المفروضة على الانسان فى هذه الحياة الدنيا ؛ فعلمت أن سعادة الانسان تتوقف على أمرَين : — الأول — (احترام الشرف الانسانى) — والثانى — (النزاهة) . وبواسطه هذَين الأمرين ، يمكننا معرفة جميع الواجبات المفروضة علينا نحو الأسرة والهيئة الاجتماعية

فأما ما يجب علينا نحو الاسرة ، فهو الابتعاد عن الأغراض ومعناه فى الحقيقة الارتباط والاخلاص . لأنهُ لا يكفى أن يحترم بعضنا بعضاً ؛ بل يجب أن نتحابَّ أيضاً . وأما ما يجبُ علينا نحو الجمعية ، فهو احترام الوظيفة البشرية ؛ وهو ما ينشأ عنه العدل . والنزاهة وهى ما يقتضيهِ الاحسان

الاستاذ — حسن ! هذا ملخص الموضوع

التلميذ — إلاَّ اننى إخال اننا تركنا موضوعاً عظيماً

الاستاذ – وما هو ؟

التلميـذ – هو الوطن

الاستاذ – لقد أصبت يابنيَّ ، وهل نعرف الوطن ؟

التلميـذ – الوطن هو البلد الذى وُلد الانسان فيهِ

الاستاذ – نعم ، الوطن هو الأرض التى وُلد فيهـا الانسان ، فأحياه هواؤها، ورواه ماؤها، ووسعه فضاؤها ، وأظلته سماؤها ، وعمرته نعماؤها . فنحن بناء على ذلك مرتبطون بالبلد الأصلى، بشىء هو أشبه بالقرابة . فلا يمكن أن ننفصل عنه ، والاّ كان من وراء ذلك ضرر عظيم ، فكم من أثر ترك لنـا الأقدمون . والطرق التى نمشى فيها ، والدورُ التى نقطنها ، والحقول التى نزرعها ؛ كل هذا تراث الأوّلين منا . هذا ما ترك لنا آباؤنا وأجدادنا وأسلافنا الذين يعلم الله مقدار ما عانوه فى سبيل الدفاع عن تلك الأرض التى سفوها بدمائهم الطاهرة

التلميذ – وأسمع أيضاً أن الوطن الحقيقى ، هو عبارة عن الأمة ، وهى مجموع أشخاص يسكنون بلداً واحداً ، ويخضعون لقانون واحد ، لهم حاضرة واحدة وحكومه واحدة

الاستاذ – ألا يربط هؤلاء الأشخاص شىء آخر غير ما ذكرت ؟

التلميـذ – نعم ، يكون لهم نفس الملامح والجاذبة ، وعلى الأخص ذكرى المجد الذى أحرزه اسلافهم ، والخطوب التى حاقت بهم

الاستاذ – حقيقة ! وذلك لا شك ميراث يرثونه عن آبائهم ، كما

ورثوا أرضهم ، وسوف يورثونهُ أبناءهم وأحفادهم

التلميـذ – نعم ! عبارة عن أسرة : كالأسرة المصرية

الاستاذ – هذا ما كنت أريد أن أقوله لك ؛ فانظر كيف كان ذلك هو الحق لا محالة

البلد الذى يعيش فيه المصريون معًا ؛ هو المسكن الذى تقطن فيه تلك الأسرة الكبيرة التى تتكوّن منهم جميعًا . وكلهم أبناء «مصر» ؛ وكلهم اخوان يستعل كلٌّ منهم من جهة لعرض واحد ، هو عَظَمة ذلك المسكن

التلميـذ – اذا كان معنى الوطن أسرة كما ذكرنا ، فلا بدَّ اذن أن تكون الواجبات المفروضة على الوطنيين نحو الوطن ، هى عين الواجبات المفروضة على الأولاد نحو منزلهم

الاستاذ – نعم ؛ وليس هناك الاَّ اتساع المكان ، وازدياد السكّان . أما الواجبات ، فانها لم تتغير وان أتسع نطاقها

أنظر كيف فسمنا الروابط التى تربط الأسرة : ذكرنا أولاً واجبات الوالدين نحو الأولاد ، وواجبات هؤلاء نحو الوالدين ؛ ثم واجبات الأولاد بعضهم نحو بعض . فلنطبّق هذا على تلك الأسرة الجديدة « فالوطن » ، وهو تلك الأرض التى يجب علينا أن نحبّها بكل جوارحنا ، وندافع عنها بأموالنا وأرواحنا ، اعترافًا بما لهـا علينا من الافضال ؛ بمثابة الوالدة لا محالة . لذلك كان من الواجب علينا أن

نتفانى فى تكريمه ، والدفاع عنهُ ؛ كما ندافع عن أمّنا التى ولدتنا

وكما أن للأسرة أبًا يجب أن تخضع له — كذلك الأمّـة أب هو الوطن يجمع بين حنوّ الأُم وكرامة الأب كما تنطق قوانينه وشرائعه التى ما وضعت الاَّ لخير أبنائهِ وللدفاع عنهم ولذلك كان من المحتم عليهم بحق أن يخضعوا لأوامره المقدسة . وكانت الواجبات والحقوق المفروضة نحو الوطن ، هى نفس الواجبـات والحقوق المفروضة نحو الأسرة . وعلى هذا القياس ، تكون واجبات الأولاد نحو أنفسهم ؛ هى التى يمكننا أن نلخصها فيما يلى :

« محبة . مدافعة . اخلاص »

ألم تكن هذه هى نفس الواجبات المفروضة على كل وطنى نحو مواطنهِ ؟

اننا كما عبرنا عمـا يجب على الاخوة والأخوات نحو أنفسهم ؟ كذلك يمكننا أن نعبر عما يجب على الوطنيين نحو أنفسهم . لأن الوطنيين عبارة عن أبناء جنس واحد ، يجرى فى عروقهم دم واحد ، لهم لغة واحدة ، وخلق واحد ، وماضٍ واحد ، وكلهم يدافعون عن بلد واحد ، كما يسعون وراء غرض واحد : هو مجده وسعادته

أما أبناء تلك الأسرة الكبيرة ؛ فقد يكون منهم الكبير والصغير ، القادر والضّعيف ، الغنى والفقير . وكلهم يجب عليهم أن يتعاونوا ويتضافروا ، ولا يعمل كل منهم ما يعود عليهِ شخصياً بالفائدة ؛ بل

ما يعود عليه وعلى مواطنيه تشريفًا لذلك الاسم الذى ينتسب له الجميع مصرى واحد ، لا يمكنه ان يدنّس اسم مصر ؛ كما ان فرداً واحداً لا يدنس اسم أسرة . الاّ ان جريمة ذلك الفرد ، قد تسىء الى المجموع . ولذلك ، مَنْ يلصق بغيره تهمته ، او يتسبب له فى اذًى لا يمكن ان يُعدّ محبًا لأسرته ووطنه

« الملخص »

أرض الوطن ، وخيراته ، وتاريخه ؛ هى عبارة عن ميراث تتداوله الذرارى على ممر الأحقاب . لذلك كان الوطن فى الحقيقة ، عبارة عن اسرة

« ٢ — الوطن عبارة عن جمعية »

الاستاذ – ليس الوطن اسرة فقط ؛ بل هو جمعية ايضًا ، ينطبق عليه تمام الانطباق كل ما ذكرناه عن الهيئة الاجتماعية

التلميـذ – نعم ! ولقد ابتدأنا بشرح ضرورتها وفضائلها

الاستاذ – أتظن ان الدفاع عن الوطن ، لم يكن من واجبات الانسان ؟

ان الانسانية هى عبـارة عن متّسعٍ عظيم جداً ، واعضاؤها منتشرون أيما انتشار ؛ فلا يتيسر الاشتراك فى المصالح ، ولا الاتحاد

فى الشعور بين اعضاء الجمعية البشرية بمعناهما الحقيق

نعم – لا أجهل ان الاسكيمو ، والهنود ، والزنوج ، كلهم اخوانى؛ كما تقتضيه الطبيعة والعقل . ولكن ما أبعد ارتباطى بهم ! وما أشدّ سرورى لو استطعت ان افدّم لهم ما افدر عليه من الخدم ، وأتبادل معهم المحبة والعطف ، ولكن هيهات ان يتحقق لنا ذلك

ان الرجال العظام ، والمخترعين الكرام ؛ أمثال (جنر) ، مكتشف « تطعيم الجدرى » ؛ و (فرنكلين) ، مخترع « مانعه الصواعق » ؛ و (نابين وفولتون) ، اللذين هما أول من عرف استعمال البخار . وكذلك رجال الحكومات ، أمثال اولئك الذين أعلنوا حقوق الانسان وأبطلوا الرقّ ، يمكنهم ان يخدموا الانسانية . أما نحن سكان هذه القرية الصغيرة ، أو أنتَ يا ولدى الصغير ؛ كيف يمكننا أن نفيد الجمعية البشرية . وانما هى مكوَّنة من جملة ممالك ، وشعوب وأمم ، كل واحدة منهـا يتكلم اعضاؤها لغه واحدة ؛ ويخضعون كلهم لعادات واحدة ، واسرائع واحدة ؛ وكذلك يدافعون عن أنفسهم أمام عدو واحد

فكل واحدة من تلك الأمم ، تنشأ بالاتفاق فى بقعة من الأرض فترتبط معها بكافة الروابط التى تعلمها ، تكون جمعية مستقلّة تسمى وطنًا

فالوطن هو الحدّ الأوسط بين الأسرة القليلة الاتساع ، التى تسع آمال الانسان ولا تفى بحاجاته ، والجمعية البشرية التى امتدّت

طرافها ، فصمّت بين تنقّيها الماس أجمعين ، فضعفت باتساعها أسباب لاتحاد بينهم بل استحالت

وما فلناه عن الجمعيه البشرية وفصائلها ، ينطبق أيضاً على الوطن الذى فيهِ يتحقق معنى الاشتراك وتقسيم العمل . وقد ذكرنا المزايا التى لولاها لما تمَّ النجاح المادى ، ولاتوفّر رَغدُ العيش . لأن الاشتراك فى العمل وتقسيمه ، لايمكن حصوله بين أعضاء الجمعية البشريه ؛ بل يكون أسهل بين أعضاء البلد الواحد

وهل لك يا بنيَّ ؛ أن تصف مقدار الفوائد المعنويه التى يكتسبها الانسان من وجوده فى الوطن ؟

التلميذ – بكل تأكيد وبلا أقلّ عناء : ان قريتنا هذه الحقيرة ، كان بها من مُدّة خمسة أعوام ، منزل حقير فيهِ مدرسة لاتسعُ اكثر من خمسين تلميذاً ، ولذلك كان المعلم يُضطرّ أن يطرد عشرين طالباً أو اكثر فى كل عام . أما الآن ، فقد تأسست بها مدرسة فاخرة تحتوى على كل ما يلزم للتعليم ؛ والفضل كل الفضل فى ذلك للوطن ، ولمشروعات حكومة الوطن

الاستاذ – وفى القفور المجاورة التى لاتبعد عنا اكثر من ستة كيلومترات ، كيف كان يتيسر لأهلها أن يرسلوا أولادهم الى تلك المدرسة ؟

التلميذ – انه ما كان يأتى منها إلاَّ القليل ، ممن لا يزيد عددهم

عن الاثنين أو الثلاثة، من كبار التلاميذ؛ أما الصغار، فانهم لا يستطيعون أن يمشوا ثلاثة فراسخ فى اليوم

الاستاذ – اذاً، لقد كان ذلك ظلماً فاحشاً؛ لأن سكان الكفور الصغيرة التى لا يتجاوز مقدار أهلها ثلثمائة نفس، لا يمكنهم انشاء مدرسة على حسابهم. أما الآن، فقد أصبح فى كل كفر مدرسه خصوصية، وابتدأ كل الوطنيين يتعلمون ويتنورون؛ والفضل كل الفضل فى ذلك لجامعة الوطن

ان الوطن لم يحصر خيراته فى التعليم الابتدائى فقط، ولكنه أنشأ كثيراً من المدارس العليا والجامعات (حيث يتخرج فيها الأطباء والمحامون والمهندسون والأساتذة وغيرهم)، وكذلك جميع المعاهد العلميه، والمراصد، ودُور الآثار. فان كل ذلك مما تنفق عليه الحكومة. وبالجملة، فان كل ما كان مفيداً لتعليم الأُمة، أو داعياً للنجاح الانسانى، أو مساعداً على انتشار العلوم والفنون والصنائع، نحن مدينون به للوطن

التلميذ – وكذلك قد تحققتُ الآن، أن جميع الفوائد الأَدبية التى نالها من الاجتماع، هى بفضل الجامعة الوطنيه

الاستاذ – انك لم تخطئ يا بنىَّ؛ أتذكر إذ كنت أشرح لك كيف أن العدل والاحسان، لم يكونا من الفضائل التى يختصُّ بها فرد من الأَفراد؛ بل أصبحا من النظام العام. فقد كنت أعنى بذلك الوطن،

فانهُ – لكى تكون قواعد العدل ثابتة جليه – كان من الواجب أن تكون مقرَّرة باتفـاق سكان الوطن الواحد ، ملحوظة بنفس ذلك الشعور ، ومحترمه لدى الجميع . وعلى هذا المثال ، يكون الاحسان أيضًا ؛ لأن أعضاء الجمعية البشرية متفرّقون ، ولا يعرف بعضهم بعضًا ، فلا يمكنهم أن يتبادلوا المساعدة

أما أبناء الوطن الواحد ؛ فيمكنهم القيام بذلك ، بواسطة تأسيس المستشفيات والملاجئ ، التى يلجأ اليها المرضى واليتامى ؛ وبدون الوطن وجامعته ، لا يتيسر للانسان أن يتمتع بمزايا العدل والاحسان

التلميذ – لقد علمت الآن ، ان من الواجب ان يحبّ الإنسانُ وطنه ، ولذلك سأتفانى فى حبهِ طول حياتى

بلادى، وان جارت علىّ، عزيزة وأهلى ، وإنْ صنُّوا علىّ ، كرام

« الملخص »

الوطن ليس عبارة عن أسرة فقط ؛ بل هو جمعيـة ضرورتها وفضائلها واضحة جلية . والهيئة الاجتماعية قبل كل شىء لا يمكن أن تقوم لها قائمة الاَّ بالوطن الذى يقرب الناس بعضهم من بعض ، ويجعلهم يتعاونون على اكتساب الفوائد المادية ، والأدبية ، والعقلية التى تستوجبها المعاشرة

« ٣ – الوطنية »

الاستاذ – الوطن عبارة عن أسرة وجمعية كما قدمنا ؛ ومن الواجب ، أن يكون لنا قوة نفس الشعور والاحساسات التي نسعر بها نحو الاسرة والانسانيه ، أتعرف بمادا يعبر ون عن هدا الشعور اذا كان المراد به الوطن ؟

التلميـذ – الوطنية

الاستاذ – نعم ؛ وبمادا تفصى الوطنيه ؟

التلميـذ – تقصى بأن يخدم الانسان وطنه ، بصدق واخلاص

الاستاذ – نعم يجب على الانسان ، أن يحب وطنه ، كما يحب أمه ، ويطيعهُ اطاعته لوالده . أما من جهـة المحبة ؛ فان الطبيعه تحتم علينا ذلك بالرغم منا ، والاّ ، فمن هو ذلك المصرى الذى لا يرقص قلبهُ طرباً ، عنـد ذكر اسم مصر ؟ ومن ذا الذى لا يسرّ لسرورها ، ويحزن لحزنها ؟

التلميذ – نعم ، لقد فهمت أن الانسان يجب عليه أن يحب جميع العالم ؛ الاّ أنهُ لا يستطيع أن ينكر أمر تفضيله المصريين على سواهم

الاستاذ – نعم ، ومن ذا الذى يلومك على مثل هذا الشعور ؟ انه وان كان من الواجب على الانسان أن يحسن معاملة أقرانه وخلانه ، إلاّ أنه ليس ملومًا ، إن أحب أقاربه اكثر من غيرهم .

وعلى هذا القياس ، تكون الحال فيما يختص بالبلد . فمحبة بلدنا ، يجب أن تفوق محبة جميع البلاد الأخرى ؛ وأنهُ لهو العدل لا محالة . فكما أن الوطن خيراته علينا أعمّ وأكثر من غيره من الأوطان ، يجب أن تكون محبتنا له اكبر

ليس من الصعب أن يحب الانسان وطنـــه ؛ انما الصعب هو احترام شرائعه ، والخضوع لقوانينه وأحكامه

التلميذ – ليس هناك أدنى صعوبة فى ذلك ؛ خصوصاً اذا علمنا ان هذه القوانين أساسها العدل

الأُستاذ – كلاَّ ! فانهُ ليس أصعب على الانسان من أن يخضع للقوانين التى تقدّس الحقوق الصريحة المعترف بها من الجميع ؛ إلاَّ أن الوطن قد يكون من مصلحتهِ أحياناً ، أن يحدّد بطريقة مخصوصة ، شكل الحكومة وطريقة الادارة ؛ وربما نتج عن ذلك أن تَمسّ آمال وذكرى بعض أبنائه . ومع ذلك ، فان ارادة الشعب (أى الوطن) يجب أن تطأطأ لهـــا الرؤوس ، وتخضع أمامها جميع الناس . هذه هى الواجبات التى يفرضها الوطن نحو أبنائه بصفة أسرة . أما فيما يتعلق بهِ جمعيةً ؛ فانه يفرض عليهم أُموراً أُخرى ، ينحصر معناها فى كلمتين : « التضامن والأخاء » ، ولا إخالك تجهل معناهما

ان اتحاد المصلحة والمحبـــة ، لن يكون كما أخبرتك إلاَّ بواسطة الوطن ؛ فهو الذى يسهل طرق الاجتماع ، سواء كان ذلك فيما يختص

بالأعمال الحسية ، أو بمستلزمات العدل والاحسان . ولست فى حاجة لأن أشرح لك وجه ارتباط مصلحة الشخص بمصالح الآخرين ؛ كما انه ليس من الضرورى ، أن أوضح لك أيضًا ، أن جميع العالم ، يجب أن يكونوا اخوانًا . . . فالوطن كما ذكرنا هو أوحد طريقة تربط الاسرة بالانسانية ، وتساعد على تحقيق قصدهما . وكل هذه الواجبات يمكن حصرها وتلخيصها فى شىء واحد : وهو «الاخلاص» . فالوطنية على العموم هى فضيلة انكار الذات ، وتضحية النفس ، وهى تتناول جميع درجات الفضيلة ، من أول فرض على الانسان ، وهو اداء مايجب عليه نحو وطنه ، الى أرقى الخلال درجة وهى الشجاعة

ومن أرقى درجات الشجاعة ، الشجاعة الحربية ، وهى التى تقضى على الانسان أن يعرّض حياته للأخطار ، حفظًا لكرامة بلده وسلامته . وهو أصدق برهان يقدّمه الانسان على سديد اخلاصه ، وصدق وطنيته

ويوجد أمر آخر : هو أن يدعو الانسان أيًّا كان — بالقول والعمل — الى السلام والعدل والأخاء ؛ ويقيم البراهين القوية عليها . وبذلك يكون قد خدم بلاده خدمة جليلة تستحق الاعجاب . أه أعزّ وأشرف ما يسعى اليه الانسان الحرّ ، فهو أن ينال لقب (وطنى) عن أهلية واستحقاق

« الملخص »

ان الشعور الواجب علينا نحو الوطن ، ينحصر فى كلمة (وطنية)

بما أن الوطن هو عبارة عن أسرة ، فيجب علينا أن نحبهُ ونخضع لقوانينه ، كما نحب ونطيع والدينا

وبما أنه عبارة عن جمعية ؛ فمن الواجب علينا ان نكون مرتبطين بجميع أعضائهِ ، بالشعور والأخاء اللذين معناهما فى الحقيقة (الاخلاص)

« تمرين »

ما وجه الشبه بين الوطن والأسرة ؟ – مِمَّ يتكوَّن الميراث العمومى لسكان الوطن الواحد ؟ – كيف يكون للوطن سلطة علينا ، تضارع سلطة الوالد والوالدة على الأولاد ؟ – اشرح كيف يستحيل وجود هيئة اجتماعية ، اذا لم يعرف الإنسان له وطناً ؟ – ولماذا يكون العدل والاحسان بدون الجامعة الوطنية لا معنى لهما ؟ – لماذا كانت اطاعة قوانين البلاد من شروط الوطنية ؟

الفصل الثانى — الواجبات الوطنية

« ١ — الضرائب »

الاستاذ — لقد تكلمنا عن الوطن بوجه الاجمال ، واكتفينا بأن نبين الواجبات العمومية المفروضة على كل انسان ؛ الاَّ أنه لا يجمل بنا أن نقف عند هذا الحدّ من الشرح والتفصيل ، فلنستمرّ فى مباحثنا

من الواجب أن نشرح الآن الواجبات ، والحقوق الخصوصية التى له نحو أبنائه ؛ لأنه ليس المراد أن تكون الآن غُلاماً صالحًا ، ثم تصير بعد ذلك رجلاً شريفًا ، تحترم أينما ذهبت ، وحيثما حللت ، سواء كان فى انجلترا ، أو ايطاليا ، أو غيرهما ؛ بل تكون مصريًّا حقيقيًّا ، ثم بعد ذلك وطنيًا صحيحًا ، تفيد أقرانك ، أى أقاربك ومواطنيك

وأوَّلُ واجب تفرضه مصر على أبنائها ؛ انما هى الضريبة ، وهى عادلة وضرورية . فهل لك أن تخبرنى على قدر ما يستطيع تصوّرك وجه ذلك

التلميذ — لأنه اذا لم تدفع تلك الضريبة ، لا يوجد عند الحكومة نقود تنفق منها على تنظيف الطرق ، وانارة الشوارع ، ودفع مرتبات الموظفين العموميين ، ورجال الضبط ؛ حيث جرت العادة أن يفرّ

المجرم عقب ارتكابه الجريمة . لذلك كان من الضرورى أن تعيّن الشرطة لاقتفاء أثره ، والمحققون لسؤاله واستجوابه ؛ والقضاة لتبرئته أو الحكم عليه ، حسبما يظهر لهم من براءته أو ادانته

وكذلك أشغال المنافع العمومية ، كالترع والقناطر والطرق . . . فليس من الممكن انشاؤها ، اذا لم يشترك فى ذلك جميع الناس

والجيش ؛ وهو ما يستلزم اكثر النفقات — عشرون ألف رجل يتغذون ، ويلبسون ، ويتسلّحون ؛ فتشترى لهم المدافع ، والبنادق ، وتُبنى لهم الحصون ، والقلاع — كل ذلك بأموال لا يستهان بها

الأستاذ — لك الحق يا بنىّ ! فان الضرائب هى التى تقوم بدفع كل ما يلزم لذلك ؛ وهى ضرورية وعادلة كما قدمنا. فانه لما كان الانسان محباً للرفاه ، كان من الواجب عليه اذاً ، أن يضحّى شيئاً من ثروته فى سبيل ذلك ؛ كما هو متّبع فى جميع البلاد المتمدينة . فالضرائب بناء على ذلك ، ضرورية لاجراء جميع الأعمال العمومية ، وحفظ النظام ، وما أشبه ذلك . والضريبة يجب أن تكون عمومية وإلزامية ، بمعنى انها تقسم على جميع الأهالى بلا استثناء ؛ كما انها يجبُ أن تكون عادلة ، بمعنى انها تفرض على جميع الناس بطريقة واحدة ؛ وان تكون بنسبة ثروة مَنْ تفرض عليهم ، لا فرق بين زيد وعمرو ، ولا تمييز بين الغنى والفقير ، والعالم والجاهل . فالحكومة تقدّر الأموال على حسب أهمية الأماكن والأطيان ؛ فكلما ازدادت تلك الأهمية

ازدادت الأموال . وعلى ذلك تكون العوائد ، أو الضريبة بحسب ثروة الممول . وانى لا أظنّك تجهل معنى ذلك ؛ لأنه ليس من العدل أن يتساوى فى ذلك نصيب الفلاّح الذى لا يملك سوى بيته وفدّان أو فدانين ، بذلك الغنى الذى يستغلّ من أرضه مئات من الدنانير سنوياً . وما قيل عن الزراعة ، يمكن أن يقال عن التجارة أيضاً ؛ بمعنى ان الحانوت الذى لا يزيد ربحه على بعض آلاف من القروش مثلاً لا يساوى مع ذلك الذى يزيد ربحه عن آلاف الجنيهات . اذ العدل يقضى بأن يدفع كل وطنى جزءاً من النفقات اللازمة للوطن ؛ بشرط أن يكون ذلك على قدر حالته المالية . فأصحاب الأراضى الفسيحة . والتجارات الواسعة ، مكلّفون بأن يدفعوا للحكومة اكثر من غيرهم كما انهم يكلفونها فى حراستهم أكثر . والحوذى الذى يملك عشر مركبات تشغل الطريق طول النهار ، لا يصحّ أن يؤخذ منه ، ما يؤخذ من ذلك الذى لا يملك سوى مركبة نقل صغيرة — وبالجملة ، فان كل وطنى صادق ، يجب عليه أن يؤدّى ما للحكومة كل عام بطيب خاطر ؛ وكلّ من يتأخر عن القيام بخدمة الوطن ، يكون أحطّ وأحقر من ذلك الذى يأبى أن يسعى للانفاق على أسرته

« الملخص »

ان الوطن الوحيد الذى يجب علينا أن نعرفهُ ونتفانى فى خدم

انما هو (مصر) . وهى التى لها علينا واجبات خصوصية، اوّلها الضريبه التى هى ضرورية وعادلة . والضريبة فى مصر عمومية وإلزامية ، كما أنها عادلة ونسبية

« ٢ — الانتخابات »

التلميذ — لقد فهمتُ يا سيدى الاستاذ ، ان دفع الضرائب ، انما هو من الواجبات المفروضة على كل شخص نحو وطنـه ؛ ولكننى لا أرى لزومًا لاشتراك جميع الناس فى تقدير تلك الضرائب . فاذا أنا أنبتُ عنى غيرى ، أو كان عندى ما يَشغلى عن الانتخاب — فأىُّ ضرر هناك فى امتناعى عن الحضور عند انتخاب النوّاب ، وأعضاء الشّورى ؛ لتقدير الضرائب ، وتقرير كيفية سريانها ؟

الاستاذ — لستَ مصيبًا يابنىّ ! ولكننى قبل أن أظهر لك خطأك ، أريد أن أوجّه اليك سؤالاً : ألم يكن المندوبون والأعضاء مكلَّفين بشىء غير تقدير الضرائب ؟

التلميذ — اعلم يا سيدى ، انهم مكلفون أيضًا بسنّ القوانين التى تحتاج اليها المعارف والحقانية ، والداخلية والأشغال ، والحربية وغيرها ولكن ، ألا يقال ضِمنًا ، ان الانسان متى كان واثقًا بالحكومة ؛ فانهُ يفضّل عدم الاشتغال بالسياسة ، وأنهُ يعيش هادئًا ، لا يزاحم انسانًا فى انتخاب زيد ، أو اسقاط عمرو

كنت ذات ليلة بالطاحونة لعمل خاص ، فسمعت الطحّان نول : « انني لن أتداخل فيما لا يعنيني . لقد مضى علىّ عشر سنوات أنا لا أنتخب ، فليتشاحن على ذلك خلافي ؛ أما أنا ، فلا أحرّك ما كنّاً ؛ فأنا اكبر من أن أعرّض نفسي لمثل ذلك » أليس له الحقّ ا سيدى الاستاذ ؟

الاستاذ – هَب انك كنت جندياً ، وكنت فى احدى المواقع ؛ يانك بمجرّدِ أنِ آشتبك القتال ، ودارت رحى الحرب ؛ اجتهدت فى ن تكون بمأمن من النيران ، بينما ترى الآخرين يقاتلون مستميتين . ثم أنت تقول «ومالى أعرّض نفسى للهلاك ! دعهم يتقاتلوا كما يشاؤون!» أتظن أنك تكون قد أحسنت عملاً ؟

التلميـذ – كلا ! . . . كلا ! . . .

الاستاذ – عرفت ما تريد أن تجيب بهِ . . . أنت تريد آن تقول ان السياسة انّما هى اشتغال الانسان بالأعمال العموميـة ، ولم تكن موقعة من مواقع الحرب ؛ حيث يعرّض الانسان نفسه للأخطار ، فلا عدوّ يرجى قهره ، ولا بلد يراد صدّ الغارة عنـهُ ؛ وان هى الاّ مشاحنة ، والحقيقة أن كليهما واحد . لأن ذلك العمل لا يقصد به الاّ سلامة الوطن ومستقبله . فبعضهم يودّ أن يدير ادارتهُ على طريقة مخصوصة ، والآخر يفضل على تلك الطريقة غيرهـا . فهذه الآراء المختلفة ، تجتمع فى نقطتين متضادتين ؛ و يأخذ كلّ فريق

يدافع عن رايه ، ويسعى فى استمالة الآخرين اليـه ؛ وبذلك تسير الحكومة فى الطريق الأصلح

فاذا كان لك رأى صائب مفيد للوطن – ألا تدرى أنك تجنى اكبر جناية ، اذا لم تخُضْ غمار تلك الموقعة السلمية ؟ ان جنايتك فى هذه الحالة ، لا تقلّ عن جناية ذلك الجندى الذى يفرّ من مواقع القتال

أما ما قاله الطحان ؛ فهو حديث رجل يستسلم لجميع الأشياء ، فلا يهتم إلاّ بأمر نفسه ؛ وأنهُ لرجل خائن ، لا يحبُّ وطنه ، ولا يعلّق أدنى أهمية على سعادتهِ وشرفهِ . فاذا ما فعلت أنت كذلك ، فانظر الى أين يكون المصير ؟

ان الامتناع قد يكون خطأ ، إلاَّ انهُ قد يتحوَّل فى بعض الأحيان الى جريمة ؛ لأن الضرر قد ينشأ أحيانًا من القعود عن عمل الخير

التلميـذ – لك الحق يا سيدى ؛ إلاَّ أنهُ من الصعب أن يعرف الإنسان كيف ينتخب

الاستاذ – انهُ لكذلك حقيقة ؛ ولكن الإنسان يجب عليهِ أن يحتاط بكل الوسائل ، ليكون فى جانب الحق والعدل . فينتخب قبل كل شىء ، بتمام الحرية ، وحسب ما يوافق ذمتـهُ وضميره . ولكى يكون الانتخاب حرًّا ونزيهًا ؛ يجب على من ينتخب ، أن يبحث بحثًا دقيقًا عن حالة من سينتخبهُ . فعند ما يطّلع على الصُّحُف ، ويعقد النية على الاشتغال بصالح بلده ، ويسعى فى معرفة صناعة ومكانة العضو

لذى سيقرر انتخابهُ ؛ وكذلك يسأل عن ماضيه وأخلاقه ، وآرائه ؛ حتى اذا ماسئل عن سبب انتخابه لذلك العضو ، أقنع سائليه . ولذلك يجب ان يكون المنتخب مستقلاً ، ومن العار أن يخون العهد

« الملخص »

يجب على الانسان ان يهتم بأعمال بلده ؛ كما يجب عليه ان يحصر الانتخاب ، ليختار بواسطة من ينتخبهُ الطريقة التى رآها صالحةً للسير على مقتضاها . أما الامتناع فهو خطأ . وقد يكون أحيانًا جريمة . الانتخاب يجب ان يكون حرًّا وعلنيًّا . فاذا ما انتخب العضو وجب أن يُحترم استقلاله ؛ كما يَحترم ذلك الأمر الذى عهد بهِ اليه

« ٣ - الخدمة العسكرية »

الأستاذ – هل ذلك هو كل ما يجب على الانسان نحو وطنه ؟ أليس هناك أمر هو اكثر أهمية ، وأوفر حظًّا من كل ما تقدم ؟ تذكّر

التلميـذ – الخدمة العسكرية

الاستاذ – نعم نعم ! هى بعينها ! وهل تقدر ان تذكر أهميتها ؟

التلميـذ – أرى يا سيدى انهُ اذا كان لمصر جيش ، كان من الواجب على جميع المصريين ان يكونوا من أفراده ؛ ولكنى لست أدرى ما ضرورة الجيش . أليس من الممكن أن نتفق مع جميع الأمم

الأخرى ، على إبطال الحرب ؛ أو – اذا كان ولا بدّ من ذلك – فلمَ لا تقوم الأمة على بكرة أبيها ضد العدوّ عند الاقتضاء ؟ ان الجنود لا يشتغلون طول حياتهم بغير التمرينات العسكرية، والأعمال الحربية ؛ ثم هم يحرمون اسراتهم وجودهم بينها ، وينسون صنائعهم التى تعلموها

الأستاذ – هذا من التصوّر الخيالى يابنىّ ! هذا فرض المستحيل وأنت قد جمعت فى قولك هذا ، نوعين من هذا الخيال

فأمّا الأول ، فهو ظنُّك أنه من الممكن أن تتفق مع جميع الأمم الأخرى على ان يسود السلام . فكم فكّر المفكرون فى ذلك ، وكم تكلموا عن ضرورة نزع السلاح، وتعيين لجنة تحكيم، يكون الغرض منها الفصل فى المنازعات التى تقع بين بعض الأمم وبعضها بالطرق الحبية . . . اعتقد اننا اذا قررنا نزع السلاح، فان الآخرون لن يتبعونا فى ذلك ؛ بل بالعكس ينتهزون الفرصة للإغارة على أملاكنا ومصالحنا . والبلد الذى ليس فيه جيش عامل، ولا جنود مدرّبون فى وقت السلم يتعرّض لكثير من الأخطار ، ويقع فى قبضة جاره الذى يكون أكثر احتراساً منه

وأما الثانى، وهو اقتراحك أن تخرج الأهالى دفعة واحدة لمقاتلة العدو ؛ فلقد كان ممكنًا فى سنتى ١٧٩٢ و ١٧٩٣ ، وبه تخلصت فرنسا ، وما ذلك إلاّ لأن (السونكى والقرابينة) ، كانتا هما السلاح الوحيد لجميع المحاربين . أما الآن وقد اخترع ما يُردى الانسان عن

بُعد، بحيث لم تعد تفيد الشجاعة ؛ فقد أصبح النظام ، وضبط استعمال الأسلحة ، واتقان الحركات العسكرية وغير ذلك ، وامكان حشد جيش عظيم وقت الحاجة من أهم الضرورات

التلميذ – ولكن ؛ هل من الضرورى أن يندمج جميع الشبَّان ، فى سلك العسكرية ؟

الأُستاذ – اننى لا أقول انه من الضرورى ؛ بل أقول إنه من المفيد جداً . لأن وفرة عدد الجنود ، أصل النجاح ؛ وهو الذى عليه المعوَّل الآن كما أسلفنا، فضلاً عن كونه مما تقتضيه المساواة .لأنه ليس من العدل، أن يعرّض بعضهم حياتهم للأخطار ؛ ويخاطروا بأرواحهم؛ بينما يكون الآخرون فى منازلهم هادئين مطمئنين ، لا يؤدّون للوطن أدنى خدمة

أما واجبات الجندى فى فرقته ، أو (ألايه) – ولا أظنك تجهل ذلك – فأوَّلها النظام ؛ وبدونه لا يمكن أن يكون الجيش قوياً متيناً، ذا بطش ؛ كما أنه لا يمكن أن يكون النصر حليفهُ

والنظام ينحصر فى اطاعة أَوامر الرؤساء ، ومحبة العلَم المصرى واحترامه لأنه هو الذى يمثّل الوطن ، ومجده ، واحسانه ، وواجباته المقدسة على كل وطنى . أَما فى مواقع القتال «فالاقدام والاخلاص» ومنهما تكون الشجاعة

من الواجب أَن يكون الجيش أفضل مدرسة للوطن ؛ اذ

عليه تتوقف سعادته وشرفه ، وفيه تنحصر كل آماله . انهُ لم يكن كجزء منفصل عنا ؛ بل هو الأمة بتمامهـا ، تدافع عن نفسها أمام صَدَمات العدوّ وتطلب من كل عضو من أعضائها الإخلاص والمساعدة اللذين ينتظران من كلٍّ منهم ، متى كان سليماً لا عاهة فيـه . وان الجيش ليكون أشدّ اخلاصًا واكثر اتحاداً مع الأمة التى هو منها ؛ متى تمرَّن جميع أفراده على خدمته منذ الصِّغر

فالنظام المدرسى الذى يتعلمه الأطفال منذ طفولتهم ، قد يسهّل عليهم التعليمات العسكرية . فان أطفال اليوم ، هم رجال المستقبل الذين سيدافعون عن وطنهم بكل قوّة وحماسة

« الملخص »

ان الخدمة العسكرية ، لا تقلُّ فى الأهمية عن الضرائب والانتخابات وهاتان هما من أقدس واجبات الوطنى . فمن الضرورى أن يكون لكل بلد جيش عامل ، يحفظ كيانه واستقلاله ؛ والخدمة العسكرية يجب أن تكون إلزامية للجميع ، وهو العدل لا محالة

ليس الجيش الاَّ الأمة كلهـا ، تدافع عن نفسها أمام العدوّ ، وتستعد بواسطة النظام والتدريب ، لحفظ ميراث الأقدمين

« تمرين »

لماذا كانت الضرائب من أهم الواجبات المفروضة على كل وطنى نحو وطنه ؟ – اذكر ما تعلمه عن ضرورة الضرائب ومشروعيتها – لماذا يعد اهتمام الانسان بشؤون بلده وسير أعماله فرضًا واجبًا ؟ – كيف يعبر الانسان عن رأيه وفكره ؟ – ما رأيك فى أولئك الذين يمتنعون عن اعطاء أصواتهم فى الانتخابات المهمة ؟ – لماذا كان من الواجب على كل أمة – والحالة هذه – أن تعدّ لها جيشًا عظيماً قوياً ؟ – لماذا لايكون قيام الأمة بأكملها دفعة واحدة للحرب ، من الأمور المفيدة ؟ – لماذا كانت الخدمة العسكرية إلزامية ؟ – ما الذى يقتضيه النظام ؟ – لماذا كان من الضرورى أن كل قوّة مسلحة يجب أن تخضع لنظام مخصوص ؟ – مافائدة التدريب العسكرى المدرسى ؟

الفصل الثالث — الحقوق الوطنية

« ١ — المساواة »

التلميذ – لقد أوضحت لى ياسيدى الاستاذ – فيما سبق – جميع الواجبات المفروضة على الوطنى نحو وطنه ؟ الاّ انك لم تذكر شيئاً عن واجبات الوطن نحو أبنائه !

الاستاذ – الحقوق يا بنيَّ نتيجة القيام بالواجبات

التلميـذ – وما معنى ذلك ؟

الاستاذ – معناه أن الحقوق تنشأ من نفس تأدية الواجبات ؛ لأن الواجبات المفروضة على غيرنا لنا ، هى حقوق لنا . ولذلك كان كل حقّ مرتبطاً بواجب ، وكل واجب مرتبطاً بحق ؛ كما هو الحال فى جميع الجمعيات المنظمة

التلميذ – اذاً، يجب على من يريد معرفة الحقوق أن يبدأ بمعرفة الواجبات المفروضه على كل مصرى قانونًا

الاستاذ – نعم يا بنيَّ ؛ وقد تنقسم هذه الواجبات الى ثلاثة أقسام :

الأول – دفع الضرائب (أعنى مقاسمة الوطن فى نفقاته) ؛

الثانى – حق الانتخاب (أعنى الاشتراك فعلاً فى ادارة حكومة البلاد) ؛

الثالث – الخدمة العسكرية (أى الدفاع عن الوطن ، والمحاماة عنه أمام العدوّ) . ولنبحث عن الحقوق التى تترتب على هذه الواجبات

ان فرض الضرائب على الممولين ، بلا فرق ولا تمييز بين رتبهم ووظائفهم ، برهانًا على أن جميع أبنـاء الوطن سواء فى نظر القانون وجميعهم – بما أنهم مكلّفون بدفع نفقات ادارة البلاد كل بحسب ثروته – لهم حقوق شرعية واحدة ، كحق التملّك لجميع ما يرثه الانسان ، أو يكسبه بعمله ، طبقًا للقوانين المرعية . والجميع – كما أنهم متضامنون

فى حاجيات الوطن – هم حق الاشراف على طريقة توزيع الأموال العمومية على تلك الحاجات

ومما تقدَّم ، ينتج ثلاثة حقوق للوطن

الأول – المساواة المدنية ؛

الثانى – حق الملكية ؛

الثالث – حق الرقابة على استعمال الأموال التى تقررت برأى الأمة

وليس المراد من تساوى الأفراد ، ألاَّ يكون بينهم الضَّعيف والقويُّ ، أو الفقير والغنيُّ ، أو الوضيع والرفيع ؛ بل كل هذه الفوارق الظاهرية التى هى نتيجة الاتفاق والمصادفات ، لا تزال موجودة ؛ ولكن لا تأثير لها فى الحقوق العامه . بمعنى أن الغنيّ القادر اذا اعتدى على القانون ، عومل كما يعامل أحقر صانع أو مزارع ؛ وبالعكس كل من خدم بلاده بصدق واخلاص ، كانت له المكافأة الحسنى ، ولو كان وضيعًا

ولما كان الناس متساوين لدى القانون ، وجب أن يتمتع كلٌّ بما يمتلكه من ثمار أعماله بأمانٍ وطمأنينة تامة . أى أن يكون محترمًا فى شخصه ، محترمًا فى ماله ، ووجب على الهيئة الاجتماعية أن تؤيد له احترام جميع حقوقه ؛ وذلك بواسطة القضاء العادل

ولما كان كل فرد يدفع جزءًا من نفقات الادارة العمومية للبلاد ؛ كان له الحق فى مراقبة صرفها فى الشؤون العمومية

وتكون هذه المراقبة بواسطة النواب المندوبين عن المديرية أو لمركز ، فى مجالس المديريات ، أو المجالس النيابية الأخرى ؛ وهم الذين مرضون للحكومة مطالب ورَغبات المنتخبين من قبلهم

فالاقتراع العام، هو المؤيد لمبدأ المساواة بين أبناء الوطن ؛ وبواسطة المندوبين يتيسر للجميع مراقبة الشؤون العمومية

« ٢ — الحرية »

الاستاذ — قال الأحنف لمعاوية يوماً : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » اذاً فجميع الوطنيين متساوون . ولمَ ذلك ؟ لأنهم جميعاً أحرار . لذلك كان لهم حق الانتخاب الذى بواسطته يمكنهم أن يبدوا رغائبهم المتعلقة بالطرق التى يجب أن تتبعها الحكومة فى ادارة شؤون البلاد

وقد ينشأ عن الانتخاب ثلاثة حقوق أيضاً :

الأول — الحرية المدنية ، والسياسية

الثانى — حق ابداء الرأى ، والاشتراك الفعلى فى حكومة البلاد بواسطة الانتخابات

الثالث — السلطة السياسية المعترف بها بلا قَيد ولا شرط، لمجموع أهل الوطن الواحد ؛ أعنى السيادة الأهلية ، أو سلطة الأمة

فقد قضت القوانين أن يكون الانسان مستقلاً مسئولاً عن

عمله ؛ له الحق فى أن يشتغل ويعيش بلا خوف، ولااعتداء عليهِ من أى انسان

وما معنى تلك الحرية التى خولتها لنا الحكومة ؟ أمعناها أن يفعل الانسان كل ما يحب ويختار، بلا شرط ولاقيد ؟ كلاّ ! فان الحرية تقضى بألاّ يفعلَ الانسان ما فيه ضرر لغيره ؛ وما عدا ذلك فلكل انسان الحق أن يروح ويغدو حيثما شاء ، ويشتغل ويستريح كيفما شاء . مع حرية القول والفعل ماشاء . لأن القانون لايحرم الاّ الأعمال المضرّة بالهيئة الاجتماعية ؛ وكل ما لايكون محظوراً ، فهو مباح لامحالة . وليس لأى انسان الحق فى عمل ما لاتُبيحه القوانين

ان احترام النوع الانسانى هو القاعدة التى تأسست عليها الهيئة الاجتماعية . وبما أن الانسان حرّ – بشرط ألاّ يُخلّ بالنظام العام – فهو حرّ أيضاً فى أفكاره ومعتقداته ؛ وهو ما يعبر عنه بحرية الضمير كما أنه مستقلّ الفكر والرأى أيضاً . فان لكل وطنى أن يتكلم ويكتب ، وينشر ما يشاء بكل حرية ، ما دام ذلك غير خارج عن دائرة القانون

قال ميلتون شاعر الانكليز : « أعطنى حرية القول والتعليم، فانى لاأخاف بعد ذلك على الحق من عواصف الآراء ، واختلاف المذاهب فان الحق يلى المولى عزَّ وجلّ فى المرتبة ؛ ولذلك لا يحتاج فى نصرته الى الكذب أو الحيل »

ولما كان كل انسان حرًّا فالهيئة الاجتماعية يجب أن تكون كذلك كما يجب أن تكون لها الحرية التامة فى ادارة شؤونها بنفسها . وهذا هو الحق الثانى الذى يشمل الاستقلال السياسى لأهل الوطن

كل أمة أو حكومة ، انما هى جمعية ؛ أعضاؤها (وهم الوطنيون) لهم مصالح عمومية لا يتمكنون من مباشرتهـا شخصيًا ، لذلك وكلوا أمرها الى مأمورين تعينهم الحكومة ؛ الاَّ أنهم على كل حال ، يحفظون لأنفسهم الحق فى ابداء رأيهم ، فيما يختص بالطرق التى تتبع فى حكومتهم ، والإشراف على أعمال أولئك المأمورين

فالجمعية السياسية ، هى عبارة عن اجتماع جملة أشخاص ، لهم حقوق وواجبات ومصالح مشتركة ويكون الغرض من اتحادهم النظر فى شؤونهم العامة ؛ وبالأخص للنظر فى أمر سعادة الوطن . ومما تقدّم تفهم أن مبدأ الحرية والمساواة بين جميع الناس ، قد غيّر معالم النظام السياسى ؛ لأن كل انسان بما له من المصلحة فى الهيئة الاجتماعية – أى علاقة الأمة بالحكومه فى ادارة المصلحة العمومية – و بما له من الارادة التى لا تقلّ فى الاحترام عن ارادة أى انسان كان ، وجب عليه أن يجاهر بها ، ويعمل لتأييدها

وكما أنّ للانسان حقوقًا فى الهيئة الاجتماعية ، هى الحقوق المدنية ؛ فان له أيضًا حقوقًا نحو الحكومة ، وهى الحقوق السياسية

فالأمة هى منبع السلطة ، وباسمها أو باسم المُمثّل لها يصدر الأمر

والنهى ، فأصل كل سلطة يجب أن يُستمدّ من الأُمة ، وهو ما يعبّر عنهُ بالسلطة الأهلية

« الملخص »

الواجب الذى يحتم على كل انسان الاهتمام بأعمال الحكومة ، له ثلاثة حقوق :

الأول – الحريه المدنية ، والسياسية لكل وطنى ؛ ومن ضمنها حرية الضمير ، والعمل ضمن دائرة القانون

الثانى – حريه الاشتراك مع الحكومة ، بواسطة المندوبين المنتخبين فى الانتخابات

التالث – أحقية الوطنيين فى ادارة شؤون الوطن (باسم السلطه الأهلية)

« ٣ - الأخاء »

التلميذ – وواجب الانضواء تحت لواء الوطنية ، والموت فى الدفاع عن الوطن ؛ ألا يترتب عليهِ وجود حقوق أخرى ؟

الأُستاذ – نعم يابنىَّ ؛ حقّ من أقدس الحقوق وأشرفها ، ذلك هو « الأخاء »

اذا ضحّى أحدُنا حياته فى خدمــة الوطن ؛ فما ذلك إلّا لأنهُ يعتبره كالأمّ الواجبة مساعدتهــا والدفاع عنها . واذا قدَّم نفسه فداء

بناء وطنه ؛ فما ذلك إلاّ لاعتقاده بانهم اخوته الذين سوف يفدونهُ أرواحهم يوماً ما ، اذا جاء دورهم

فمن حقوق الأخاء ، عناية الوطن بتربيه أبنائه صبيةً صغاراً ، بانشاء المدارس والاصلاحيات ؛ وبكفالتهم شيوخًا ضعافًا ، بتأسيس الملاجئ والمستشفيات

ومن حقوق الأخاء ، افتخار الوطن بأبناء وطنه ، اذا أتى أحدهم أمراً جليلاً أو فعلاً جميلاً ، يهتزُّ فرحًا اذا رأى العلَم المصرى خفاقًا يحمل فى ثناياه مجد مصر الأثيل ، ويحن فى غربته حنين الولهان لذكرى ذلك البلد الأمين

ومن حقوق الأخاء ، حماية الشبان لكلّ ضعيف من شيوخ وأطفال ، وربّات حجال ، كما يحمى الفتى أباه الكبير ، وأخاه الصغير عند حلول الأخطار ، وتغيّر الأحوال

واذا مات الوطنىّ فى ساحة الوغى والقتال دفاعًا عن وطنه ، بكاه قومه بكاء الأخ لأخيهِ ، ووضعوا على رمسهِ أكاليل المجد والفخر ، وخلّدوا ذكراه مدى الأيام بالحمد ومحاسن الآثار

فالاخاء هو سلوان النفوس ، وميثاق القلوب ، والفداء الممدوح عند الحاجة اليه

« تمرين »

ما معنى كل واجب يلزم أن يكون مقروناً بحق ؟ – كيف يكون جميع الوطنيين سواء أمام القانون ؟ – اذكر حقوق الملكية – لماذا كان لكل من يدفع الضرائب، حق الرقابة على ما يصرف من تلك الأموال – ما معنى الحرية ؟ – ما حرية الضمير ؟ ألا يعد القانون عقبة فى سبيل حريتنا الشخصية ؟ – ما السلطة الأهلية ، وكيف يكون لكل وطنى نصيب منهـا ؟ – ما الواجبات ، والحقوق التى ينشأ عنها الأخاء بين جميع الوطنين ؟

تمَّ الكتاب الأوَّل ويليه الكتاب الثانى
وأوَّلهُ (أصول القانون العام)

فهرست

﴿ الكتاب الأوّل ﴾

صفحة

« الجزء الأول

الباب الأول – فى الأدب

الفصل الأول – الحرية

٥ (١) النواميس الطبيعية

٧ (٢) النفس والارادة البشرية

٩ (٣) الحرية

الفصل الثانى – القانون الأدبى

١٢ (١) الضمير

١٣ (٢) المسئولية

١٦ (٣) القانون الأدبى أو قانون الأخلاق

الفصل الثالث – فى الخير

١٨ (١) شرف الانسانية

٢٢ (٢) النزاهة وحب الذات

٢٥ (٣) خلود النفس

الفصل الرابع – فى الواجب

٢٧ (١) الواجب

صفحة

٢٨ (٢) القانون الوضعى

٣٠ (٣) الأدب

الباب الثانى

٣٤ (١) الأسرة

٣٨ (٢) واجبات الآباء للأبناء – الاعتناء المادى

٤٠ الواجبات العقلية والأدبية

٤٤ (٣) السلطة الأبوية

٤٨ (٤) احترام الوالدين

٥٠ (٥) الاعتراف بجميل الوالدين

(٦) واجبات الأولاد نحو أنفسهم

٥٥ (٧) واجبات الأطفال فى المدرسة

٥٩ (٨) الخدم

٦٣ (٩) الحيوان

٦٥ (١٠) روح الأسرة

صفحة

« الجزء الثانى »

الباب الأول – الهيئة الإجتماعية

الفصل الأول

٦٩ (١) فضل الجمعيات

٧٥ (٢) الحاجة الى الاجتماع

٨٠ (٣) فائدة الاجتماع

الفصل الثانى

٨٥ (١) العدل فى الهيئة الاجتماعية

٩٠ (٢) مستلزمات العدل

٩٨ (٣) معاملة المرء لغير أهل دينه

٩٩ (٤) فضائل العدل

الفصل الثالث

١٠٤ (١) الإحسان

١٠٩ (٢) الإحسان فى الجمعية

صفحة

١١٣ (٣) فضائل الإحسان

الباب الثانى

الفصل الأول – الوطن

١١٩ (١) الوطن أسرة

١٢٣ (٢) الوطن جمعية

١٢٨ (٣) الوطنية

الفصل الثانى

الواجبات الوطنية

١٣٢ (١) الضرائب

١٣٥ (٢) الانتخابات

١٣٨ (٣) الخدمة العسكرية

الفصل الثالث

الحقوق الوطنية

١٤٢ (١) المساواة

١٤٥ (٢) الحرية

١٤٨ (٣) الأخاء

حرب ۱۲

۷۰۷ کم آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دینا لیا جائے گا

کتب خانہ

ضوابط

۱۔ ارکان

۲۔

۳۔

۴۔

۵۔

۶۔

۷۔

۸۔

۹۔

۱۰۔

۱۱۔

۱۲۔

۱۳۔

۱۴۔

۱۵۔